دَويُّ الأمل

(انتظارُ المُخلّص في الفكر البشري العام)
[مقاربة نفسية ثقافية]

تأليف
علي الشعلة

دَوِيُّ الأمل

(انتظار المُخلّص في الفكر البشري العام)

[مقاربة نفسية ثقافية]

علي الشعلة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دَويّ الأمل

إهداء

إلى حرم القداسة .. وتراتيل الوحي .. إلى من تحوم القلوب الوالهة نحو كمال عوالمه .. وتنشّدُ الأرواح إلى حضوره .. الذي تغيب معه كل قوى الشر والظلام.

إلى بقية الله في أرضه .. بخجل أهدي هذه البضاعة المزجاة .. لعلي أحظى بإيفاء ذلك الكيل .. وأنثره على من أحب.

يا أيها الحق الحي .. الذي وجد في النفس لنكون على حق .. شكراً يا معلمنا الصبر على الهجران .. بك نحيا يا سفير الأمل فينا .. وسيبقى لظى الشوق مشتعلاً إلى ظهورك المبارك.

شكر وعرفان

أتقدم بفائق الشكر وببالغ التقدير ،لكل من شاطرني وساهم في إبراز هذا العمل لحيز الضياء ،سائلاً المولى(جل شأنه) أن يحفظهم في دار الدنيا ويسكنهم بحبوحة جنته.

مقدمة

منذ الصرخة الأولى للإنسان على هذه الأرض ،ومروراً بأزمنته وتتابع حضاراته ،آمن الإنسان في سره بحقيقة المخلص ،ليرى في نور تلك الحقيقة ،خلاصاً وحيداً ينجيه من وطأة الظلمة على الأرض ،ويرى في ذلك النور عدلاً يجابه به الجور والظلم ،الذي احكم قبضته عليه كالموت.

فتاقت النفوس أن ينفض هذا الشعور الخفي جناحيه ويرفرف جلياً في سماء الواقع.

إن الذي دعاني لتأليف هذا الكتاب ،هو ذلك الكم الهائل من الجدل والمفارقات والتخبط بين الشك واليقين ،وتلك المسافة المجهدة للعقل بين السؤال والجواب ،حول وجود مخلص منتظر في غريزة الإنسان وفطرته ،والذي أدّى إلى نمو

ذلك الجدل المتضارب الأفكار ،وكانت تلك الأفكار تتمنهج بحسب العقلية والمرجعية دينية كانت أم فلسفية ،وأثرت إلى حد كبير في أصل تلك الفكرة التي ولدها الشعور فينا، وأطلقها العقل ليبحث في ماهيتها ،وبهذا البحث سنقوم بعملية المقاربة بين الأفكار التي نمتلكها على أساس نفسي وعقلي وعلمي ،ونسكب فيها الوجدان الإنساني ،الذي لا نستطيع تجاهله في تلك الحقيقة التي فطرت نفوسنا عليها، وسوف نسرد قصة هذه الفكرة التي حملناها عبر الأزمنة والعصور ،والتي ما توقفت مجاديف بحثنا في بحر هذه الفكرة المتجذرة في ذواتنا.

وسوف ننحاز بأسلوب جديد ،ليناسب معظم شرائح المجتمع البشري وبالأخص تلك التي تؤمن بالذات الإنسانية، والطاقة الفكرية ،والتطور الزمني ،والتقدم العلمي والتكنولوجي القادم.

علي الشعلة

١٥/ ٨/ ١٤٣٧هـ

تمهيد

المُخلّص هو الذي خُلق للرقي بالإنسان ،لن يأتي ليكون سيداً علينا بل معزاً للإنسان ،الذي فضله الله وأعلاه عن كل مخلوقاته ،هو المعلم المتواضع العظيم ،والشجاع الوديع ،يكون قريباً منا فيرفعنا ،وهو الموجوع فيزيل آلامنا، وهو المجروح ليطبب جراحنا ،فليست غايته أن يكون ملكاً بل جاء ليجعلنا ملوكاً على عرش الإنسانية ،ولينفض الغبار عن عقولنا ،ويزيل الرمد من عيوننا ،جاء ليطلقنا من عبودية المادة ،ويحطم قصور الظلم والجور والجهل ،إنه قريب ينفذ بشفافية في مسالك النفس فينقيها ويداويها ،ويعبر بنا إلى الضفة التي تتجه إليها عيوننا وآمالنا.

إنه المسرة المنقوشة على لوح النفس ،تلفظ له الروح حروف الشوق وتستعجل لقياه ،وينشد القلب وصاله ،ويرتجي قرباً نحوه ،يدوم ويصب في ذواتنا الأمل ،إنه مجلي العمى عن الأنوار الأربعة (الروح والعقل والنفس والقلب) ،وملهمها حقيقة الذات الإنسانية.

إنه النور الساطع قبل الولادة بآلاف السنين ،يشد الهمم في النفوس عند الشعوب والأمم ،كأنه نشيد لحن ناي أصيل، يشع في النفس بريقاً وحرية ،تكاد تحطم جدار الصمت ،وتزيل تلك الأقنعة المزيفة.

بداية الفكرة

لقد اقترنت بداية فكرة وجود مخلص بوجود الإنسان نفسه ،ورافقته عبر العصور والأزمنة ،لتكون دائماً وأبداً وليدة النفس ،ومبحث العقل لما تحويه من جدل ،وراحت ترافق التطور الحتمي للعقل واستنتاجاته ،وبما أنها تنبع في الأصل من الغريزة البشرية ،لم يتوانَ الإنسان في تمحيصها وتفكيك طلاسمها المعقدة.

من تصفح كتب الديانات أو جدل الفلاسفة حول فكرة المخلص ،سيجد من الواضح أن هناك فائضاً في الإجماع الإنساني ،منذ أن ظهرت تلك الديانات ،وولدت تلك الفلسفات ،فعد الأمر تراثاً إنسانياً تربوياً وأخلاقياً ونظرة عقلائية ،لا تتصادم مع مبدأ العقل والفطرة ،ومن هنا نشير حول هذا المنحى بصورة خاطفة:

ظهرت فكرة المخلص عند ديانة **المصريين القدماء** باسم (**أوزوريس**)[1] وهو مصدر التوحّد في سبيل السعادة عندهم، "وكان يقدم الحماية في هذا العالم وكذلك في العالم الآخر"[2].

أما عند **اليونان** باسم (**زيوس**) وهو **"المنقذ"**[3] ومحقق **الأمل للأغريق**.

أما في **الديانة الهندوسية** فقد امتازت فكرة المخلص لديهم بأن (**فشنو**) يتجسد على شكل **إنسان خارق** عندما تدعو الحاجة لإصلاح كل شي والقضاء على الشر ،ويؤمن المعتقد الهندوسي بوجود عشر تجليات (**لفشنو**)الإله الحافظ للكون ،ومن ضمنها (**كالكين**) ،وأنه" يجسد المستقبل .. وسوف يحكم الأرض بالعدل ويستعيد **العصر الذهبي**"[4].

وعند البوذيين ومؤسس البوذية (**بوذا**) ولد عام(**٥٧٣ ق.م**) الذي من معانيه "بوذا المنتظر"[5].

---

[1] - أوزوريس: "واحد من أعظم الألهة في مصر القديمة زوج الآلهة إيزيس دبر له أخوه ست مؤامرة وقتله ،أصبح إلهاً للموتى وحاكماً للعالم الأخر"،جفري بارندر- المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٣٥٢.

[2] - نفس المصدر السابق ص٨٦.

[3] - آرثر كورتل - قاموس أساطير العالم، ص١٦٢ .

[4] - جفري بارندر- المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١٤٢.

[5] - جفري بارندر- المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٢٧٤.

وعند **الزرادشتية** ومؤسسها وهو **(زرادشت أو زورآستر)** واختلف في سنة ولادته وقيل إنه ولد قبل هذا التاريخ (٦٢٨-٥٥١ق .م)[١] ،ومن تعاليمه أن المنقذ سوف يظهر في آخر الزمان ،واسمه (**ساونشيان**) الذي ستمحى في زمانه جميع الشرور ،وسيتم **خلق العالم من جديد**[٢].

أما **الديانتان اليهودية والمسيحية** كغيرهما من الديانات التي أشارت إلى هذا المُخلّص ،عندما كان بنو إسرائيل **ينتظرون المسيح عيسى(عليه السلام)** ،ولكنهم بعد ولادته رفض أكثرهم أنه هو المُخلّص ،عندها حكموا عليه بالصلب، واعتقدوا أنهم قتلوه ،والمسيحيون اليوم يعتقدون بأنه المُخلّص وأنه يظهر في آخر الزمان ،وهذا الأمر واضح بيّن قد استفاضت به كتبهم ،كما يعتقد اليهود بأن المُخلّص عندهم **بأنه المشيح (المكرس بالمسحة)** أو **(المسيح المخلص)** ،وهو **شخص آخر** غير ما يؤمن به المسيحيون.

أما في الديانة الإسلامية فإن فيها قولين:

---

١ - جفري بارندر- المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٩١.

٢ - كورتل آرثر ، قاموس أساطير العالم ، ص ٤٥.

الأول : **أنه لم يولد بعد ويعرف بالمهدي** ،واسمه محمد بن عبدالله من نسل **الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام)**وسوف يولد في آخر الزمان ،وينهض بالأمر وهذا اتجاه أهل السنة والجماعة[1].

الثاني : **أنه ولد بمدينة سامراء في العراق** عام (٢٥٥هـ) ومعروف بالاسم وهو **الإمام محمد بن الحسن العسكري (عليهما السلام)** ،الإمام الثاني عشر **للشيعة الإمامية من نسل علي وفاطمة(عليهما السلام)**،ومن ذرية الإمام الحسين بن

---

[1] - أشهر كتب أهل السنة والجماعة التي تحدثت عن المهدي (عج): **(أخبار المهدي)** عباد بن يعقوب الرواجني(ت٢٥٠هـ) أي قبل ولادة المهدي (عج) بخمس سنوات. **(كتاب المهدي)** أحمد بن محمد الأصبهاني(ت٤٣٠هـ). **(البيان بأخبار صاحب الزمان)** محمد بن يوسف الكنجي الشافعي(ت٦٥٨هـ). **(عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر)** يوسف بن يحيى السلمي الشافعي(ت٦٨٥هـ).**(المهدي المنتظر)** ابن قيم الجوزية، (ت٧١٥هـ). **(الفتن والملاحم)** إسماعيل بن كثير القرشي(ت٧٧٤هـ) فقد أفرد فيه جزءاً على حدة في ذكر المهدي كما صنع في كتاب البداية والنهاية. **(العرف الوردي في أخبار المهدي)** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ). **(تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان)** ابن كمال باشا الحنفي(ت٩٤٠هـ).**(المُهدي إلى ما ورد في المهدي)** محمد بن طولون الدمشقي(ت٩٥٣هـ). **(البرهان في علامات مهدي آخر الزمان)** علي بن حسام الدين المتقي الهندي، صاحب منتخب كنز العمال، (ت٩٥٧هـ). **(القول المختصر في علامات المهدي المنتظر)** لابن حجر الهيثمي(ت٩٧٤هـ). **(المهدي من آل الرسول)** تأليف الملا سلطان القاري(ت١٠١٤هـ). **(فرائد الفكر في الإمام المنتظر)** مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، (ت١٠٣٣هـ).**(التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر)** القاضي محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ).**(القطر الشهدي في أوصاف المهدي)** شهاب الدين أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني الشافعي (ت١٢٩٨هـ).**(نور الأبصار)** مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي(ت١٣٠٨هـ) وقد خص شطراً من كتابه هذا بما بالمهدي (عج) من الولادة إلى الغيبة.

علي(عليهما السلام)،ومن ألقابه الإمام المهدي أو الحجة أو المنتظر أو بقية الله ،وهو حي وغائب متوارى عن الأنظار ،منذ أكثر من (١١٧٥)سنة أي منذ تنصيبه بالإمامة سنة (٢٦٠هـ) وله غيبتان صغرى وكبرى[١].

لقد أشار الفلاسفة لهذه الفكرة بالمُخلّص والخلاص على طريقتهم الخاصة ،ولكن أشهرها على الإطلاق (جمهورية أفلاطون) لأفلاطون ،و(آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها) للفارابي ،و(مدينة الله) للقديس أوغسطين، و(المدينة الخيالية) لتوماس مور ،و(مدينة الشمس) لدرمنيك كامبلانيلا الايطالي ،و(أطلنطا الجديدة)لفرنسيس بيكون.

إلا أن إشارة الفلاسفة لهذه الفكرة المعروفة عندهم بالمدنية أو الإنسان المتفوق ،أي أنهم يؤمنون بسيادة العقل ،إذ تتكون مدينتهم من أشخاص مثاليين ينهضون بها ،فهم أسسوا هذا المنحى العقلي كحلم يراودهم ببلوغ العقل أعلى درجات النهضة الفكرية نحو التفاضل والارتقاء ،فهم قد اشتركوا في

---

[١] - راجع كتاب الصدوق دراسة وتحليل/ فلقد بينت فيه بالتفصيل الغيبة الصغرى والكبرى.

نظرة المُخلّص على أقل تقدير ،لأن أصل فكرتهم قد طرحتها الديانات ،ولكن ليس بصورة العقل بل بصورة الاعتقاد الديني بالمُخلّص.

إن ما ورد في نصوص الكتب الدينية وما خطه الكتاب الفلاسفة والمتنورون والمفكرون ..ألخ ،حول المُخلّص ليس بعيداً عن الأفكار التي تنتجها النفس البشرية بشكل عام ،أو كيان الإنسان[١]،إذ إن فكرة "المستقبل السعيد"[٢] أو يمكن ان أشتق أسماء منها: «الإنسان المُخلّص» أو «الأمل الخفي» أو «الحلم الأخير» أو «الوعد القادم» أو«الموعود بالنصر» أو«المصلح المرتقب» أو «صاحب العصر» أو بعبارة أدق: [الحـدث العظيـم].

[١] - المقصود بالكيان هو الاتحاد بين(المادي كالجسد والغيبي كالروح والنفس والعقل والقلب) في قالب واحد يعرف بالإنسان.

[٢] - اشار لهذا المفهوم الشهيد الصدر الثاني محمد محمد صادق الصدر في كتاب اليوم الموعود وكررها (١٦)مرة في معرض حديثه حول ما تتنبأ بها الماركسية في مستقبلها ،جاء في ص ٢-٣ :"تنبأت الماركسية بالمستقبل السعيد ،من زاوية النظرية العامة التي وضعتها لتفسير التاريخ ،المسماة بالمادية التاريخية ،التي جعلت خاتمة مطافها ذلك المستقبل.
وتنبأت الأديان ،بهذا المستقبل من زاوية البرهنة على وجود قائد معين منقذ للبشرية من المظالم ومخلص لها من المشاكل... وقد سماه الإسلام بالمهدي.".

وهذا الحدث وجد بالضرورة في نفسنا ،أي أن كثيراً ما نرى ونسمع عن أشخاص مؤمنين بهذا الحدث أو الحلم أو الأمل ،دون أن يعلموا عن مصدر هذا الإيمان الذي لديهم ،أنه ملازمٌ للأمل الخفي الذي نخضع له لكي نستطيع الاستمرار، هذا الحدث الذي سيفجر على كوكبنا ثورة من العدل والمساواة ،وأن يستأصل جذور الظلم والفقر والجوع والمرض ،فإن الإنسان أينما كان وجد في جعبته من اعتراضات على كثير من الأمور الموجودة والمفروضة في محيطه.

وبرغم وجود هذه الاعتراضات التي تعيق حركة الاستمرار عند الإنسان ،فإن هناك صوتاً مجهولاً يهمس بداخله ويقول له سوف يتغير كل هذا ،وهذا الصوت هو دفة سفينة هذا الأمل.

إن هذا الاعتقاد الموجود في تركيبتنا والذي خاضه علماء النفس ،لابد من انبعاثه من مصدر أكثر عمقاً وأكثر تعقيداً مما جاوبنا أنفسنا عليه في كثير من الأحيان بأنه الأمل أو التنفيس أو تعزية للنفس ،وأن تتلاقى النصوص الدينية ونظريات

الفلاسفة في نقطة ما في ذواتنا حول هذا الاعتقاد والاتفاق جوهرياً على مضمونه ،ولا يسعفني إلا أن أقول:

إن الاعتقاد بوجود هذا المُخلّص أو الحدث العظيم ،وبرغم الغموض الذي يغشاه ،هو وجود حقيقي نقر به في ذواتنا وفي ما وراء حواسنا ،وهذا ما جعلنا نميل إلى النظريات والنبوءات في الديانات التي طرحت بخصوص المُخلّص ،دون أن نسعى إلى الدليل العقلي والمنطقي ،لأنه ببساطة بحوزتنا يشع من أعماقنا وثنايا أنفسنا.

إن هذا الحدس المبهم في طيات أنفسنا وبنات أفكارنا ،وقد نسأل عن الغاية الحقيقة والهدف الأسمى من وجود هذا الشعور فينا ،وقد نفكر ملياً ونبحر في فضائنا الداخلي ساعين وراء بصيص نور يقودنا الى هذا الجواب ،ولكن غالباً ما نتوه عنه دون الحصول على قطعة من الإجابة المنشودة ،ولن أتشدق بالقول إني قد وصلت الى ما وراء الشعور ،أو أتهم الإنسان بالقصور لعدم توصله إلى ذلك ،مع أن نسبة فهم بعض من هذا الإحساس تتفاوت بين إنسان وآخر وهذا أمر طبيعي،

حتى أن هناك شريحة كبيرة لم تفكر مطلقا بالأمر ،وهناك أناس اكتفوا بتسميته الأمل والآلية التي نعزي بها نفوسنا من وقت لآخر ،لكنني في صدد أن أكسر هذا الحاجز الذي يفصلنا عن الولوج إلى جوهر الأمر ،وسأحاول أن أقصّر هذه المسافة التي تحول دون فهمنا له.

ولن أتبّع طريقة مختلفة في البحث غير تلك التي تمتلكونها، ولكنني سأغوص في هذا العمق أكثر وأقتفي آثار هذا الحدس الذي يجذبني إلى المنبع الحقيقي والمنبثق منه كخيوط رقيقة وواهنة ،تصل إلى فكري وتتابع جذبي نحو ذاك السر.

إن هذا الشعاع الذي يمر عبر نافذة الروح كعمود من جزيئات النور ،وذرات الحقيقة المشبعة بالأمل ،ثم يبدأ ذلك النور يتسلل في الظلام ،ويكشف لنا الأجزاء المجهولة من روحنا ،ويرغمنا على النظر فيما حولنا من جديد والتطلع إلى مصدر ذاك النور ،وما نلبث أن نقف عاجزين عن حل هذا اللغز الذي ينهمر منه وابل من الأسئلة التي نحتت على جدران العقل والروح.

إنها **البذرة** التي سقطت على تراب **الفكر** فنمت وامتدت أغصانها إلى **دهاليز العقل** ،إنها تنمو بجوار النفس وتحتضن بظلالها الفكرة المجردة ،التي تعدو نحو ذاك الجرم **المجهول للعقل والمألوف للنفس** ،هذه الحقيقة المستترة بغمامة الشك واليقين ،وما زلنا نراقب بصبر ونلاحقها بأبصارنا بصمت، حتى **انقشعت بعض من معالمها ،فبآنت عظمتها وبهاؤها**.

ومن رحم الاستفهام ولدت الأسئلة **عارية** كالحقيقة، وارتمت في دوامة الفكر.

- **ما هذا الذي نحمله في صدورنا ويتحرك بأحشائنا في كل موقف نتعرض له؟**
- **هل هو حقيقة.أم وهْمٌ.أم الأمران معاً؟**
- **هل نحن من خلقناه لاصطدامنا بالواقع .أم هو كائن في كينونتنا بالضرورة؟**
- **ما الغاية في وجوده.وما هي صفاته التي لم يفصح عنها.هل يتأثر فينا بقدر تأثرنا فيه؟**

يقف الفكر مرة أخرى عاجزاً يفتش عن إجابة أو بعض منها دون جدوى ،فتغرقنا قطرات من الحيرة والدهشة.

لماذا هذا التصادم بين العقل والنفس فيما يتعلق بالشعور والعاطفة ؟

ولعُ العقل بالمادة والحواس وتضاده مع عمل النفس، والصراع بين هذين العملاقين على اتخاذ القرار ويا لها من حرب ضروس بين المادة واللامادة والمحسوس والملموس.

إذا كان هذا الصراع أمراً حتمياً وقانوناً مفروضاً بين متناقضين ،فإنه لن يتعدى قانوني الطبيعة البشري بل سيكون من ضمن تلك القوانين.

قانون الطبيعة البشرية الذي لا يمكن الحياد عنه أو تجاوزه، ولكن بفهم وإدراك قواعد هذا القانون نستطيع إخضاعه لسلطتنا وإرادتنا ،كما هو الحال في كل القوانين المفروضة والمعروضة فينا ومن حولنا.

إن لكل شعور فينا له ما يقابله في عالم المادة ،يتفاعل معه في فضاء واحد وانسجام تام ،وان التأثير الذي ينتجه هذا التفاعل ينعكس على السلوك الإنساني ،وهذا ما يسميه البعض التصرف الغريزي ،إذ ان جميع المشاعر كالحب والغضب والشوق والحقد ...الخ ،لها في عالم المادة ما يجعلها دائما في حالة من التأجج والحياة.

إن هذا التناغم المستمر بين الشعور والمادة ،وهذه العلاقة الوثيقة والمتداخلة بتراكيبها المعقدة والتي تعطي القيمة الوجودية لكل منهما ،تشكل أحد عوالم النفس البشرية، ويسعني القول بأن هذا العالم اللاّمرئي بأهميته البالغة هو وقود الميكنة البشرية.

إن كل الحقائق التي تنتمي إلى هذا العالم الممتد بين تلك النقطتين المركزيتين(الشعور والمادة) ،هي الأكثر رسوخاً في الفكر والسلوك البشري ،إذ ليست هناك حقيقة راسخة ما لم تنتج من هذا التفاعل الذي ذكرناه.

ما هو تأثير الأخلاق على هذا التفاعل بين الشعور والمادة؟

إن الأخلاق هي الجدار المحيط بذلك التفاعل ،وأنه البوصلة التي تحدد مسير هذا التفاعل ،فالنتيجة التي تنتج عن التفاعل (الشعور والمادة) متوقفة على المقياس الخلقي لدى الإنسان ،فالإنسان الذي يؤمن بقوة الأخلاق يختلف سلوكياً عن الإنسان الذي يؤمن بأخلاق القوة.

إن القواعد الأخلاقية التي عرفها الإنسان منذ القدم ،والتي تندرج ضمن القانون الغريزي عند الإنسان أو قانون الطبيعة البشري ،والتي كان لها الدور الأكبر لاستمرار الحياة على الأرض ،وكما أشرنا سابقاً بهذا القانون وخاصيته الفطرية ،أنها الوعاء الذي يحوي هذا التفاعل والذي يؤثر بالمادة سلباً وإيجاباً.

إن الإنسان الذي يتبع إحدى تعاليم الديانات السماوية، يكون أكثر تفهماً وتعايشاً مع جملة المشاعر التي تتعلق بالمُخلّص

عن الإنسان الملحد ،أو أصحاب الاتجاهات المادية الصرفة (الماركسية – العلمانية – الرأسمالية) ،إذ تضطرب مشاعره تلك بسبب الصراع الدائر بين العقل والنفس ،وهذا ما يمنعه من التعايش مع ذلك الشعور ،ويجعله مشوشاً ومشككاً بشعوره ،إذ إن الاعتماد على المادة باتخاذ القرارات تفقدنا التوازن في عالم التفاعل الموجود فينا.

إن الإنسان وبرغم اعتماده على المادة في التفكير والتطوير، إلا أن هناك ما هو أهم من المادة الموجودة فيه ،والتي هي سبب رئيسي في تطور البشر وتقدمهم ،ألا وهي الكلمة (وسيلة التخاطب) تلك الركيزة التي بنيت عليها أعمدة هذا العالم ،وبرغم قوتها وقدرتها العظيمة ،إلا أنها لا تملك أي خواص مادية ،إنها الضرورة التي لا يمكن للإنسان الاستمرار من دونها.

والعناصر التي تدخل في تركيبة النفس كالشك والحب والغضب والحقد ..ألخ ،وقد يكون الشك :-

- "إرادياً يصطنعه الإنسان ..وهو مؤقت .. ،لأنه يظل مستمراً حتى يتيقن الإنسان من أن أفكاره قد بلغت حداً فائقاً في الدقة واليقين ،وأنه لا يلابسها أدنى شك .. وشك بنّاء ،فهو وليد تجربة شخصية عقلية (ديكارت)"[1].

- شكاً مرضياً في النفس وهو الأخطر ،لما يلحقه من دمار هائل وأعراض خطيرة على الإنسان.

يولد الشك في الحقائق المنقوصة وغير المكتملة وغير الواضحة للعقل ،وإن حقيقة المُخلّص ينقصها بعض الدلائل لتصبح مقبولة للعقل البشري ،ولكنها تحمل خاصية مميزة ،إذ إنها وبرغم عدم تبني العقل لها ،إلا أنها معقولة[2] وهذه الميزة هي الجزء الأكبر من الحقيقة الخالدة.

إن الشك كعنصر في داخل التفاعل بين النفس والمادة، والذي يغير في النتيجة النهائية بهذا التفاعل ،ومن هنا نشير إلى أن معالجة هذا العنصر يجعلنا مسيطرين على التوازن بين

---

١ - ديكارت أو الفلسفة العقلية / دكتورة راوية عبد المنعم عباس ص١٥١.

٢ - يقبلها العقل ويصدقها.

الشعور والمادة ،ولكي تكتمل أضلاع هذا المثلث (النفس والعقل والمادة) يجب أن تتفق المعايير العقلية والنفسية والمادية وتنبعث في مسلك واحد يقودها إلى الارتقاء واتساع نطاق عملها على أرض الواقع ،ويمكنني أن أطلق عليه (الإنسان الحقيقي).

إن الإنسان الحقيقي هو من استطاع إخضاع العناصر والمركبات في عمل الميكنة البشرية ،وقد نحتاج إلى زمن طويل وجهد بالغ للتوفيق بين تلك العناصر ،ووضعها داخل حدودها والتحكم التام بتوازنها ،وهذا ما يجعل الإنسان الحقيقي نادراً أو اسطورة ،ولكن لدينا جميع الأدوات التي من خلالها نستطيع بناء هيكل هذا الإنسان ،ولا اتشدق بالقول إني قد بنيت هذا الإنسان الحقيقي ،ولكنني أقول إن المحاولة في هذا البناء بما فيه من ارتقاء سمو وشرف ،وحتى لو فشلت في أخر المطاف.

إن أهم الأدوات على الإطلاق هي العلم والمعرفة والبحث والتجربة ،وإنها موجودة عند الجميع ،فاستخدام العلم في

سبيل ارتقاء النفس البشرية ،والبحث الحثيث داخل النفس وخارجها ،والاستفادة من التجارب العقلية ،يجعلنا مؤهلين للخوض في هذا البناء العظيم.

إن جوهر المعرفة إدراك القيمة السامية للإنسان ،إذ إن المعارف مهما عظمت وارتقت فلن تصل إلى مرادها ،ولن تكتمل من دون معرفة تلك القيمة ،فالقيمة هذه هي رأس كل شيء ،وهي أم كل علم ،وأساس كل بنيان ،وآلة كل تقدم ،لا يمكن استنساخها ولا مشابهتها ،تبطل من دونها كل المعارف، إنها قصد الوجود وغاية الموجود ،هي كنز مدفون تحت طبقات النفس ،بها نحب الحياة ونقبل الموت ،ونسعى إلى الحرية الحقيقية الصافية ،نكسر كل القيود ونحطم بجلالها الأغلال، إنها حقيقة وجودنا منها ننطلق وبها نعبر فوق الهاوية ونهزم ظلال الجهل.

هذه القيمة هي التي يسمو فيها الإنسان بإنسانيته وينفصل عن حيوانيته ،وتنعكس هبة الإله وبهاء الطبيعة في كل حركة تصدر عن هذا الإنسان الحقيقي.

لا بد من التسليم والتصديق بهذه القيمة واعتبارها المثال المنطقي والمتكامل والوقود الأمثل للنفس البشرية ،وهي محاولة جادة من قبل الإنسان لإدراك التوازن بين النفس والعقل، وكشف ما هو مستتر لكثير من المفاهيم التي زرعت فينا ،أو اعتبارها إحدى تلك القيم المجهولة عند بني البشر ،ولا تزال البشرية تتبنى تلك القيمة الفكرية الرائعة ،على أنها حقيقة قادمة ضمن قاعدة الأمل والمستقبل الواعد والقادم.

لماذا فشلت نظريات الفلاسفة والملحدين في دراسة النفس البشرية ؟

عمل بعض من الفلاسفة والمفكرين[1] ،الذين لا يؤمنون بوجود خالق على دراسة النفس البشرية ،وجاهدوا بإظهار الجوهر

---

[1] - ونتطرق إلى بعض الشخصيات التي صرحت معلنة بهذا المضمون ومنهم :

- **جوليان سورل هكسلي**: ولد في لندن (١٨٨٧ م- ١٩٧٥م) عالم أحياء وفيلسوف إنكليزي، ذكر:"ففكرة وجود إله شخصي من اختراع الإنسان" ،راجع كتابه بعنوان(دين بغير تنزيل) نقلت عن كتاب(ملحدون معاصرون ومحدثون)ص٦٥ .

الإنساني ،ووضعوا نظرياتهم وأفكارهم ظناً منهم أن يتوصلوا إلى حقيقة هذا الكائن المعقد في تركيبته ،ولكن باءت تلك المحاولات بالقصور والفشل فوضعوا الإنسان هذا الكائن الأفضل على وجه هذه الأرض في حدود لا تليق بعظمة هذا المخلوق ،فإن الحقيقة بوجود هذا الإنسان بالقوة والإرادة الإلهية هي أكثر سمواً وأجل قدراً لكينونة هذا الإنسان.

إذ إن الهدف الرباني من خلق الإنسان أعظم بكثير مما سطره هؤلاء الناس ،وتتوالى سقوط النظريات مع مرور الزمن، وترتفع فكرة وجود إله كلي القدرة خالق كل شيء ،ورافع قيمة الإنسان فوق كل القيم ،فإن تقييد الإنسان بكل ما يملك من مواصفات سامية في نظرية أو فكرة أو رأي ،انتقاص منه وإجحاف لحقه ،فمن غير الإنصاف السير بتلك الطريقة غير

- **مايكل مارتن هامر**(١٩٣٢م): كان يعمل أستاذ للفلسفة في مدينة بوسطن ،ففي عام ١٩٩٠ م نشره كتابه "الإلحاد ومبرره الفلسفي " ،وجاء فيه: " أن الإلحاد موقف عقلاني وأن الإيمان بالله أمر لا يستند إلي العقلانية " نفس المصدر السابق ص ٨٠.

هم فلاسفة ومفكرون ؟ وأمر في غاية البداهة (الله)،لم يستطيعوا ان يصلوا إليه ويستدلون عليه ؟!
الفلسفة لعبة عقلية مثلها مثل كل الألعاب العقلية ،وهي لا تتجاوز البحث إلا في داخل الإنسان وخارجه وبما يحيط به ،سخر بعضهم بمعرفته بهذا الفن وحرفوه عن مقصده السامي في فلسفة الوجود بأكمله بأنهم تناسوا الحقيقة الكبرى الصانع لذلك الوجود وهو الله سبحانه وتعالى.

الناضجة والرشيدة ،وإنه لانتهاك عنيف بحق هذه النفس البشرية ،فالحرية المطلقة والحقيقة المجردة والمكانة الجلية تترجمت في فكرة خلق الله للإنسان.

هل العقيدة بالمُخلّص عند أصحاب الديانات السماوية والفلاسفة ميتة أم حية؟

ليست هنالك عقيدة ميتة أو حية ،إذ أنها ترتبط بشكل وثيق بذلك التفاعل البشري معها ،وهي إدارة الأخلاق ،فالعقيدة هي الدستور الذي تنطوي فيه مجموعة القوانين التي تضمن حق الإنسان على نفسه وغيره ،وهي ليست ذاك الجسم الغريب الذي غرس فينا قصراً ،بل هي تندرج في قانون الطبيعة البشري والغريزي ،ووجوده كقانون اعتقادي هو تبنٍّ لذلك القانون والتصريح به علناً ،وإلزام الجميع بعدم الحياد عنه وتجاوزه.

إن الاعتقاد بالمُخلّص اعتقاد حي ،وذلك لأن الشعور الذي ينتج عنه ذلك الاعتقاد هو شعور حي وتفاعلي ،فإذا كان الإنسان يملك هذا الاعتقاد بالمُخلّص غريزياً ،فإن اعتقاده هذا ليس وليد أفكار الآخرين من ديانات وفلسفات ،بل هو نابع من نفسه الحية وهو حي ،بشهادة تلك النفس وبقبول العقل فلا تستطيع شجرة الزيتون أن تثمر عنباً ،فكل ما تثمره النفس هو من جنس النفس.

ما هي جذور فكرة المخلص .وكيف نثبت بالتجربة والبرهان فكرة المخلص لأصحاب المدرسة التجريبية المادية(الحسية)؟

غالباً ما يفكر الماديون والملحدون واللادينيون ،بأن مضمون هذه الرسالة هي ترجمة للرسائل الدينية وأنها تمتد على بعدين أحدهما ميتافيزيقي والأخر فلسفة دينية ،ورغم اني حاولت الابتعاد عن هذا المكان المشبوه لديهم ،إلا أن الفكر السائد اليوم بين الملحدين لا يتقبل الانصياع لأي بحث قد

يتوافق مع الفكر الديني ،وأجد نفسي الآن مرغماً من جديد للتوضيح بمسعى آخر لتكون هذه الرسالة إلى جميع الفئات وبكافة أطيافها الفكرية.

وسوف أبدأ من الاعتراض القائل ،إن فكرة المخلص هي النتيجة النهائية للكتب السماوية أو ما يسميه البعض مكافأة نهاية الإيمان.

لقد وردت فكرة المخلص والخلاص في غالبية النصوص الدينية على اختلافها ،وكان ذكر هذه الفكرة بمثابة وعد إلهي للوصول بالإنسان إلى الحياة الكاملة ،والتي ستبنى أعمدتها على أساس العدل والإنصاف ،والارتقاء بالإنسان إلى تمام صورته التي وجد فيها ،وفقدت منه في دائرة كبيرة من الأسباب ،وسوف نوضح بعض النقاط في الآتي:

إذاً كانت فكرة المخلص والخلاص هي نتاج ديني ،وذكرها في النصوص الدينية كان في سياق النص ،ولم يكن محور الرسالة الدينية والهدف المرجو.

إذاً كيف اتفق متلقوا تلك الرسالة على هذه الفكرة بالتحديد؟واختلفوا في كثير من المواقع في تلك الرسالة؟وكان هذا الاختلاف يصل إلى حد الرفض ،بدليل انقسام الدين الواحد إلى مجموعة من الطوائف والمذاهب! والتي غالباً ما تكون متناحرة يكذب بعضها بعض ويشكك متبعوها بعضهم ببعض!

ولكن رغم هذا التناحر !! تراهم كطوائف لدين واحد متفقين على فكرة المخلص والخلاص ،والسبب في ذلك لا يعود إلى المنهج الديني ،بل إلى نقطة أعمق متأصلة في نفس الإنسان البشرية والتي أوردناها مراراً في طيات هذا الكتاب.

أي إن فكرة المخلص أو الشعور الدفين الذي ينضح بالأمل ،والتطمينات العقلية الدؤوبة للنفس البشرية بالخلاص ،وكأنها خبر خفي يتلوه العقل في عالم النفس لتثبيته وتعزيز استمراره.

وعندما جاءت النصوص الدينية والرسائل السماوية على اختلافها ،كان هناك حوار يدور على الأرض في نفس هذا المخلوق الجدلي.

إذاً نحن متفقون أن الدين عبارة عن مجموعة أفكار ونظم تسمو بالإنسان إلى هدف ما ،كما أن المخلص والخلاص أحد هذه الأفكار ،وكان على الإنسان قبولها أو رفضها ،وبالفعل كان الانقسام في تقبل الأفكار عند كل طرح لأي فكرة ،ولكن الجميع كانوا يتفقون على فكرة المخلص المبعوث ،الحامل بين كفيه إكسير الخلاص.

إن مركز فكرة المخلص والخلاص ليس على أحد السطور في كتب الدين أو الأساطير الخيالية أو انها القصة المحببة والأكثر شعبية للإنسان ،بل مركز هذه الفكرة في ذواتنا في أصل النفس ،فلم تكن صدفة حين اجتمعت حول جاذبيتها نفوسنا المتلهفة لها ،بل أن ما ورد في تلك النصوص وافق وبقوة شعورنا المتدفق من النفس البشرية.

وعلى هذا فإن فكرة المخلص كانت في البدء فينا قبل أن يكون الدين والمفاهيم الإيمانية ،وأنها تشتعل بصورة عامة في الإنسان مهما اختلفت طريقة تفكيره وإدراكه ،وأن الأفكار الدينية تنتمي إلى الإنسان نفسه ،ولا تتوافق إلا معه دون جميع المخلوقات على الأرض ،بينما فكرة المخلص والخلاص أو الشعور بالأمل ينتمي إليها الإنسان ،من دون الحاجة لأن ينتمي إلى أي خلفية فكرية أو روحية.

فالإنسان قادر أن يغير انتمائه الديني والروحي والفكري، بينما هو غير قادر على الإطلاق بتغيير انتمائه لفكرة المخلص ،إذ أنها تندرج في قانونه الغريزي وليس الأخلاقي والفكري ،هي احدى الحواس الخفية لديه ومركز التوازن في عملية التطور والارتقاء.

كيف سيتعامل المُخلّص مع أرباب الفلسفة الذين سنوا قوانين كثيرة وسلوكيات على فلسفاتهم ونظرياتهم؟

يملك الإنسان في طريقة تفكيره مسارين أساسيين لإنتاج الفكرة هما:

الأولى: الفكرة العقلية الخاضعة للزمن المولودة فيه.

الثانية: الفكرة الدينية التي تنبع من الغريزة وقانون الأخلاق الفطري ،والذي يتشابه في كل زمن.

وكلاهما محكومان من الجدل والبيئة المجتمعية للإنسان.

وعلينا أن نعلم جيداً أن هناك فرقاً بين الفكرة الفلسفية للعقل وبين الحق ،فلو كانت الفكرة مقبولة قبل ألف عام، وطرأ عليها تغير فهي لم تكن حقاً في الأصل ،بل كانت تحاكي الواقع بحسب المعطيات الفكرية في ذلك الواقع ،وليست تملك من ضمانات تخولها البقاء لألف سنة أخرى ،إذ هي خاضعة تماماً للزمن والتطور العقلي ،وأما الفكرة التي تنبع من

الشعور أو الغريزة ،فهنا نحن نتحدث عن صلب الذات الإنسانية الذي لا تتغير غرائزه واحتياجاته.

وإذا كانت الفلسفة هي نقطة الاصطدام بين الفكرة النابعة من الذات ،والفكرة المحاكية للمنطق ،فسوف تكون الفلسفة على الدوام منقوصة المفاهيم ،نتيجة التطور الطبيعي للمفاهيم الإنسانية.

إن النظريات التي تخص العقل وتعتقد بعدم وجود الخالق دائماً تكون نظريات منقوصة ،فإن استقرار النفس متوقف بشكل أو بآخر على النتيجة النهائية التي سيستقر عليها العقل، وبالتالي هناك صراع دائر بين النفس البشرية والعقل ،وهذا الضغط النفسي يؤثر على قرارات هذا العقل بشكل كبير ،لو أُتيحَ مجال أوسع وأعمق للعقل لوصوله إلى نتيجة حتمية لوجود خالق ومنظم لهذا الكون ،وإن العلوم والمعارف التي تنبثق منها جميع الأفكار لا تتعدى حدود العقل البشري ،وإن معرفة الله الخالق تتطلب مجهوداً أكبر ومتحداً بين النفس والعقل ،وهناك ارتباط وثيق بين التقدم العلمي ومعرفة

الخالق ،كلما ازداد العلم اتضحت للإنسان أشياء جديدة تخص الخالق كان يجهلها ،لأن العلوم مفطورة في حقيقتها وذاتها على الإشارة للخالق على الدوام ،وهي تعكس مدى منظومة إبداع هذا الخالق.

إن الكثير من العلماء والفلاسفة الذين خاضوا في فلسفة كل شيء تقريباً ،وضعوا نظرياتهم وسطروا آرائهم حتى فرضت في بعض الأماكن والأزمنة كقواعد أساسية في الحياة.

مثال:-

فرويد مثلاً وجد علاجاً لمرض العصاب[1] ،وقدم نظريات عديدة في التحليل النفسي ،وكان هذا عملاً رائعاً لهذا العالم، ولكن عندما خاض في الفلسفة نجده كتب كهاوٍ غير خبير، وهذا ما لا يختلف عليه النقاد العالميون ومعاصروه من القراء والفلاسفة ،إذاً فأنا أحترم عمله الأول وأقر به بأنه نفع البشرية ،ووضع بصمة في العلم الحديث ،وأما عمله الثاني فأنا أرفضه لعدم تخصص فرويد في الفلسفة.

---

[1] - النظرية العامة للأمراض العُصابية- سيغموند فرويد ،المحاضرة السابعة عشرة بعنوان (معنى الأعراض) ص ٢٢-٤٢.

والكثير من أبناء جلدته فعلوا مثله ،وقد أجمع الغالبية على التصويت ضد هذا النوع من الفلسفة ،بعكس النتيجة الإيجابية والتي كانت من نصيب الفلاسفة المتخصصين ،والتي ما زالت بصمتهم محفورة في هذا المجال ،مثل أفلاطون وأرسطو ،إن كلتا الفئتين اختارت أن تخوض في ذلك وكانت النتيجة ما ذكرناه.

إن الإنسان عندما يقدم على الخوض في تلك الأمور فإنه يعتمد أمرين:

الأول:هو فعل الاختيار والذي يصدر مباشرة من العقل.

الثاني:هو الذي تعتمده سيكولوجية هذا الإنسان من مجموعة العواطف والمشاعر.

فإن فرويد عندما اعتمد أحد الأمرين فشل ،على عكس أفلاطون الذي اعتمد الأمرين على حد سواء ونجح بالسمو بكتاباته ونظرياته.

فان الإنسان لكي يستطيع أن يفهم ما يتعلق بالمُخلّص، عليه أن يقدم بالتفكير كمتخصص ،وأن تجتمع فيه حواسه

وإرادته وسيكولوجيته متحدة في السير ،في فهم الهدف الجوهري بما يتعلق بالمُخلّص .

ولكي نفهم الأشياء الخارجة عن حدودنا ،لابد أن ننظر إلى عمل النفس البشرية بكل مركباتها السيكولوجية ومدعمة بالاختيار العقلي.

كيف يمكن رؤية ذلك المُخلّص؟

رؤية الإنسان للمخلص تحتاج تقنية موجودة أساساً في النفس البشرية ،وهذه التقنية لها آليتان هما:

الآلية الأولى: رؤية الأشياء البعيدة والخارجة عن حدود الإنسان ،والذي يقبلها العقل وينقصها الدليل(الله والمُخلّص والجنة والنار والملائكة).

الآلية الثانية: رؤية الإنسان للأشياء القريبة جداً، والموجودة في أعماقه وداخل حدوده(كل الأمور التي تنطوي في تحليل النفس البشرية).

وكلتا الآليتين تحتاجان إلى تقنية خاصة :

مثال:-

يوجد في هذا العالم ما هو **بعيد كالنجوم والمجرات** ،ولا نستطيع أن نرى تلك النجوم والكواكب بعيننا المجردة، ولذلك فنحن بحاجة إلى **تلسكوب** يوضح لنا شكلها وماهيتها وكيفية دورانها ..إلخ.

والآلية الثانية التي ذكرناها تشبه البكتريا والجراثيم التي لا نستطيع أن نراها بالعين المجردة بدون استخدام تقنية **كالميكروسكوب.**

كذلك النفس البشرية تحتاج إلى تلك التقنية ،وإلى فهم الأمور المتعلقة بهذا المُخلّص ،**وأن هذه التقنية موجودة في آلية تلك النفس بالضرورة** ،وقد يتفاوت تطور تلك التقنية بين نفس وأخرى وبين إنسان وأخر ،**ولكن ما نريد أن نشير إليه أن استخدام تلسكوب متسخ سيرينا بعض حقيقة هذه النجوم والكواكب ،ولكن لن تكون واضحة وجلية كالتلسكوب**

النظيف ،وكذلك النفس البشرية فإنها لن تستطيع رؤية تلك الأمور بعدستها الملوثة.

إن التقنية الموجودة في الإنسان غريزياً والتي تحثه في التفكير ودراسة الأمور البعيدة والخارجة كالله والمُخلّص والجنة والنار والملائكة... الخ.

ومما نراه في هذا العالم بما فيه من أديان ومعتقدات وثقافات متعددة ،نرى أن التصور الفكري عن الله مثلاً يختلف بين هذا الاعتقاد وذاك ،ذلك لنتيجة الاختلاف لتلك التقنية الموجودة لديهم ،وكم رأينا من مذاهب ومعتقدات فظيعة وقدرة[1] ،رأت الله من خلف عدستها الملوثة فتكونت لديها تلك الأفكار والأسس والنظريات. إن فقدان النور في النفس البشرية يحول دون رؤية الأشياء في حقيقتها.

---

١ - فريدريك نيتشه: (١٨٤٤م - ١٩٠٠م): فيلسوف وشاعر ألماني كان من أبرز الممهّدين لعلم النفس، كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية والنفعية والفلسفة المعاصرة المادية ،يقول نيتشه كلمته المشهورة "لقد مات الله ،ونحن نريد الآن أن يحيا الإنسان المتفوّق". ذكر ذلك في كتاب "هكذا تكلم زرادشت" ص١٢٤، لاحظ تلك الخرافة التي جسدها ! ويا لها من أكذوبة كبرى ! أراد أن يضرب فيها الإنسان الراقي صاحب الطبقية في المجتمع ،فلم يجد الطريق إلا أنكار إلههم وهو الله ،ويرجع الأمر إلى تلك العدسة الملوثة التي رأى الله من خلالها.

والآلية الثانية والتي تختص بالأمور العميقة في النفس البشرية ،وهي تلك **الألغاز المنطوية في ثنايا تلك النفس** والتي تحتاج إلى **تقنية ما** ،نرى من خلالها تلك **الأشياء المدفونة والمهمشة** فى بعض الأحيان ،والذي يحول عدم اكتشافها وتطويرها وفك شفرتها ،دون القدرة على فهم الأشياء منقوصة الدليل ،إن موانع رؤية تلك الأمور هي عينها تلك الموانع السابقة.

بإدراك النواقص تكتمل الحقيقة ،والنواقص التي تشكل فراغاً رهيباً بالمجتمع البشري تكون على حالتين:

١ – نقص لما هو موجود.

٢ – نقص لما هو غير موجود.

مثال:-

أسرة لديها طفل معاق وإعاقته سلبت سعادة تلك الأسرة وهذا نقص لما هو موجود ،وأسرة تحلم بولادة طفل ولا تستطيع إنجابه لسبب ما ،وهذا أيضاً ما يسمى نقصاً في حياة تلك الأسرة.

فالنقص في الحالتين يلحق أو يسبب الضرر نفسه **ببنية المجتمع** ،فإذا أدركنا ما ينقصنا فعلاً للحصول على عالم خالٍ من المشاكل والمعوقات ،التي تحول بينهم وبين تطوره وتقدمه وشفائه من الشر المحيط به والمهيمن عليه ،سنفهم ببساطة ما نحتاج من الكمال.

إذاً للوصول إلى عالم كامل علينا البدء **بمعالجة تلك النواقص** ،وهنا لا نشير فقط لعلاج الشخص بنفسه وإكمال نواقصه ،وما يفقده من الصفات التي تنقصه ،**بل نشير إلى علاج المجتمع ككل والتعايش تحت سقف المحبة والتآخي وهذه الخطوة الأولى.**

الخطوة الثانية هو ما عهدناه من سلوك الإنسان منذ القدم، وما دون عنه علماء **الأنثروبولوجيا**[1] **والسيكولوجيا**[2]، وتدوينهم للكثير مما استخلصوه من دراساتهم العديدة، وسنشير هنا باختصار وببساطة إلى أمر يتفق عليه الجميع ،أن

---

[1] -(علم الإنسان).

[2] -(علم النفس).

الجنس البشري وبكافة أطيافه وألوانه عبر التاريخ ،يحتاج إلى قائد واحد ينتمي إليهم ويتبعونه ،فيشكلون فريقاً متكاملاً وتحكمهم قوانين تضمن حقوق الجميع.

وبرغم الضرورة الملحة لوجود هذا القائد لازدهار هذا الفريق ،فأن تعداد القادة بين المجتمعات باختلافهم فكرياً وأخلاقياً يشكل خطراً جديداً ،يضرب المجتمعات بعضها ببعض ،وهذا ما رأيناه وسمعناه وعايشناه من حروب فتكت وفككت مجتمعات وأمماً.

إذاً فإن الازدهار الداخلي للمجتمع بوجود فريق واحد وقائد واحد قد عاد لينهار لتعدد الفرق والقادة.

إذاً فإن الضمان لسلامة العالم ككل العمل كفريق واحد بقيادة واحدة ،مما يعود بالخير وضمان الحقوق للجميع ،وإن ثقتنا بهذا القائد ومساندته وسد كل ثغرة في طريق الإصلاح، وإكمال النواقص يساهم في تعزيز قدرة هذا القائد على القيادة.

ما هو المستوى الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان في مجال التقدم العلمي والفكري، وكيف يمسك برؤوس الخيوط لبداية معرفة الله دون الرجوع والخوض في المعتقدات الدينية؟

للوصول إلى مستوى علمي وفكري نحتاج إلى زمن مثيل، منذ بداية تكون الأرض إلى يومنا هذا ،وهي مدة زمنية كبيرة ليتطور فيها الإنسان تدريجياً ،لأن العلوم تساعد الإنسان على تطوير ذاته والتوسع فيها ،لذلك يتوجب على الإنسان ملايين من السنين الجديدة أو قفزة نوعية مميزة أو انفجار علمي هائل، حتى يطور العلوم الموجودة الصحيحة ويزيل الخاطئة منها، وإن هكذا تطور لا يمكن أن يأتي من فراغ ،ولا يمكن لأحد أن يحدث هكذا انفجاراً علمياً وبمثل هذا الحجم بقدرته البشرية المعهودة ،ونتاج عقلي محدود ،وهنا نستنتج ونرى بأن هذه العلوم موجودة على الأرض ،لكن يلزم من يفك شفرتها

ويفتح تلك العنفة ويفجر من خلف ذاك السد ،علوماً لا تعد ولا تحصى ويفيضها على كل أصقاع المعمورة.

لا يمكن لنا تصور النقلة العلمية والتكنولوجية التي سيطرحها المخلص بين أيدي الإنسان ،وحتى لو استخدمنا الخيال العلمي ،سنكون متأخرين جداً على رسم صورة ما سيكون ،ولو رجعت عبر الزمن من يومك هذا إلى قبل آلاف من السنين ،سترى علماء يتنبئون بالمستقبل على عكس ما أنت عليه ،ومهما حاولت أن تشرح لهم حجم التطور العلمي الذي عايشته ،لن يفهمك أحد وسيتهمونك بالجنون ،لأنه ليس هناك من لغة تحاكي المستقبل ،ويبقى الإنسان رهن التوقعات والشكوك والحدس.

وكل ما نستطيع أن نتحدث عنه هو انفجار علمي لا تصوَّر له ،وأننا شرعنا في التطور العلمي داخل اتجاه واحد ،فماذا لو علم الإنسان أن هناك سبلاً أخرى ،تقودهم إلى القمة في العلم والازدهار والحرية!

ما هو الهدف الحقيقي لوجود الإنسان في هذا العالم ؟

هذا الكون العظيم الذي يشدنا الى أعماقه ،ويلوح لنا بعوالمه وأسراره العجيبة المفعمة بالاستفهام والغموض ،وذلك النظام الذي يحكمه ويبث فيه الحياة والاستمرار ،من كائنات لا ترى بعيننا البسيطة إلى الكواكب الضخمة والمجرات الشاسعة، التي تسبح فيها أسرار لا تعد ولا تحصى ،تلك الأشياء من حولنا والتي نتفاعل وإياها بأبسط تفاصيل حياتنا ،ساعدتنا في تنظيم عالمنا وتطويره ،ونحن ما نزال نراقبها ونتعلم منها أسرار العيش والبقاء.

في كل يوم نرتقي بعلمنا تاركين الأمس القديم سائرين نحو غدٍ جديد وأفضل.

هذا الكون الذي احتفظ بنظامه مليارات السنين دون أن يتوقف أو يتباطأ أو يحيد عن مساراته أو يخالف قوانينه للحظة.

ولا نستطيع أن نحصي بكتاب واحد عجائب هذا الكون، والتي تشير إلى خالق مدبر ومنظم حرص على رعاية هذا الكون وتدبير أموره ،ومن الملحوظ أن معظم النظريات التي نفت وجود هذا الخالق اندحرت ونبذت من قبل العقول النيرة للجيل الجديد ،الذي اجتاح بعلومه ومعارفه وتقنياته كل جزء من هذا العالم ،وانتصر الإيمان والتصديق الفطري للإنسان بوجود خالق على أكثر النظريات الفلسفية والنظرية تعقيداً ودهاء[١].

وبرغم اختلاف الديانات والعبادات على هذه الأرض ،إلا أن جوهر كل ديانة قائم على وجود خالق واحد ضابط لكل شيء ،ومنه كل شيء ،وإليه يرجع كل شيء.

---

[١] - داروين(ت ١٨٨٢م) نظريته للتطور وكتابه المشهور "أصل الأنواع" نشره عام ١٨٥٩م ، عن "نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي".
بينما كتابه الأخر " نشأة الإنسان" الذي تم نشره في ١٨٧١م ،التي لا تزال بعض الشرائح البشرية حتى اليوم تؤمن بما فيه ،وهذا الكتاب الذي تعرض فيه للعلاقة بين الإنسان والقرد، وأن الإنسان من نفس تلك السلالة قال في الجزء الأول ص ٣٦٨ :" إنه من الصعب أن يكون هناك شك في أن الإنسان ما هو إلا فرع من الأورمة القردية الخاصة بالعالم القديم، وأنه بناء على وجهة النظر المبنية على سلسلة الأنساب ،فإنه يجب تصنيفه مع قسم ذوات الأنف المنقوض(الكاتارينية) ".

وإن كل ما خُلق على هذه الأرض وفي الكون كله ،والتي تسير ضمن خطة محكمة في مجرى واحد يصب في خدمة البشر ،جعلت الإنسان يتربع على عرش كل المخلوقات، وامتلاكه كل الصفات والمميزات التي خولته أن يكون المخلوق الأفضل في الكون.

وقد نسأل عن سبب وجودنا في هذا الكون ،ولكن غالباً ما تكون محاولتنا بالإجابة ناقصة أو خاطئة أو قاصرة ،وكل ما تأخرنا بالاستحواذ على هذه الإجابة ولدت عند بوابة العقل أسئلة جديدة أكثر تعقيداً وتشويشاً ،وإذا أردنا أن نكتشف هذا الجواب بأنفسنا علينا أن نبدأ بالإطلاع على مقولات تلك الديانات السماوية ،ومعرفة ما يريده الله منا تحديداً، ومعنى تلك العبادة المقصودة ،والتفكير بكل تلك المخلوقات وبأسباب وجودها ،والغوص إلى أعمق نقطة في نفسنا البشرية ،ولن أتلو عليكم قواعد وأساليب تتبعونها للوصول إلى تلك الإجابة الشافية ،لأننا نختلف بتفكيرنا وتراكيب

نفوسنا كاختلاف بصمات الأصابع ،وإنما سوف تتناولونها بتجربتكم الشخصية.

إن اكتشاف هذا السبب الجوهري لوجود الإنسان ،هي أول درجة من سلم الارتقاء في معرفة الخالق وإرادته الصالحة، وخطته الحكيمة في خلقنا وتمييزنا ،وإيلاجنا الى رحب محبته، إن هذه الحياة المحدودة التي نعيشها مُتعرّضين إلى خيرها وشرها ،راحتها وشقائها ،جمالها وقبحها ،فيكتسب فيها جوهرنا بريقه مكتشفين ذواتنا ،عالمين ضعفنا وقوتنا ،إن كل هذه الاختبارات التي نعبر من خلالها والتي تشكلنا وتمحصنا تشير الى أننا مقبلون على حياة جديدة على هذه الأرض ،حياة حيث الخير الذي لا يشوبه شر ،حيث العدل الذي لا يدانيه ظلم ،حيث الحرية المطلقة والاتحاد الكامل بذلك النور العظيم.

لماذا كان جحود النعم ونكران فكرة المُخلّص من غير الموحدين .وما هو السبيل لإقناع المنكرين بالحجة العقلية؟

إن الفرق بين الإنسان الذي وصلته رسالة من ديانة ما بما تحتويها من أفكار ،والإنسان الذي لا يؤمن بإحدى تلك الديانات هو فرق اكتمالي ،أي ان هذين النوعين من البشر يمتلكان نفس الصفات والسمات ،ولكن الإنسان الذي وصلته تلك الرسالة كانت بمثابة نقطة دعم لذلك الشعور المنطوي في النفس ،وهنا أشير إلى تلك الرسالة كداعم للشعور وليس مكوناً لذلك الشعور ،على عكس الآخر الذي لا يملك أي دعم يجعله قادراً على التمييز بين كومة المشاعر فيه.

إن عدم تقبل تلك الفكرة بسبب وجود " **الأنا** " المودعة في النفس البشرية ،التي لم تقرع بالمقاومة فأصبحت مسيطرة على الشعور وتمكنت منه ،فلا تقبل إنساناً ما يساويها بالغرائز والعقل والوجود أن يقودها ويتعالى عليها بمقدرة وموهبة ما، وأنها تصور نزعة حب السلطة والزعامة لها دون سواها.

ومن **محاسن** ما أنتجه أو حلله **فرويد أن " الأنا العليا "** **مطلوبة لتبني تلك القيم الأخلاقية** ،التي يرتقي بها المجتمع الإنساني التي أعبر عنها بالنفس الراقية أو المسيطرة على كومة تلك المشاعر ،التي لا تحافظ إلا على القيم الأخلاقية الضابطة للغرائز في النفس البشرية ،وتهبنا الشعور بالثقة لذلك **الإنسان المتحضر** الذي يسير وفق غريزته وفطرته وإنسانيته ،إن الذي لا يعي حقيقة التفريق بين **"الأنا" و"الأنا العليا"** سيظل سلوكه يتماشى مع **رغباته وشهواته البشرية** التي تقيده وتكبله ويكون أسيراً وحبيساً لتلك الأنا ،فلا يصل إلى ارتقاء نفسه وسلوكه نحو التفاضل وفهم حقيقة النفس البشرية المتكاملة.

إن إنكار الأنا وقتلها والسمو بالنفس من دونها ،هو السبيل الوحيد لتقبل الأمور بشكل حقائق وواقعية لفهم لغز تلك الأطروحة الكبرى ،التي زرعت في ثنايا النفس ،وأدركها العقل وأنبأ بها الخالق عن طريق تلك الرسالات.

إن أهم المعايير في النفس البشرية التي يرتكز عليها الإنسان للوصول إلى قناعة أو إيمان هي:

- الوجود(هو ما تيقن الإنسان بوجوده من خلال إدراكه بالحواس أو المنطق).
- عدمية الوجود(هو ما تيقن الإنسان بعدم وجوده كونه غامضاً ومبهماً ،ولم تستطع حواسه إدراكه).

فالوجود وعدمية الوجود يحتاجان بالضرورة إلى الدليل والإثبات ،ولا نستطيع تبني أحدهما بدون دعمه وإسناده بالدليل.

فالدليل يحدد نتيجة ترسيخ الحقائق وتثبيتها وتبنيها ،فليس الوجود وعدمية الوجود كـ(ماهية النفس البشرية) تعتبر دليلاً فقط لصحة إثبات أمر ما ،وأن الألغاز المستترة في ثنايا النفس تعتبر أقرب حقائق وواقعية كما الوجود ،ولكنها من عدمية الوجود ،وبما أنها متأصلة في النفس البشرية ومتلازمة فيها ولا تنفك فهي موجودة بالضرورة فينا ،ويصعب التصديق بها

وهي الأقرب فينا ! وهذه من أصدق الأمور التي يخالف فيها الإنسان ذاته وفطرته.

إن الإنسان له حرية الاختيار في الأمور العقلية وتبنيها ،أما في الأمور الفطرية والغرائز المودعة في النفس البشرية ،لا يمكنه نكرانها ما دامت مستحسنة ومستساغة ،ولا تنافي احتمالية وجودها لأنها فطرة بشرية ذاتية الوجود في النفس البشرية.

كيف يزرع المُخلّص المحبة في قلوب البشر جميعاً؟

إنها الجوهر الذي ينبثق منه كل جوهر ،والفضيلة التي تلد كل فضيلة ،التي بوجودها وجد وأوجد كل شيء ،إنها الكنز المخبأ بذواتنا وفي معالم هذا الكون ،إنها الوسيلة التي تقربنا من أنفسنا ،واللسان الذي به نحاكي الموجودات ،وينبوع الماء الذي لا ينضب ،ومنها تستقي أرواحنا وتستقر نفوسنا، وتتوازن بها عقولنا ،نحتاجها ولا نستطيع التعايش بدونها.

قد نخفيها أحياناً خلف عباءة كبريائنا ،وقد نحجبها عما يحيطنا ،ولكن مهما لوناها وفلسفناها وحتى أنكرناها سرعان ما نرتمي متعبين على ضفافها ،مستسلمين لعظمتها ،ولحاجاتنا حتى تخترق أعماقنا وتشتعل بداخلنا ،إنها سر الوجود والبقاء وطوق النجاة وآلية الاستمرار.

هذه القوة الخارقة والمختزنة بداخلنا ،والتي يطمس دورها الخلاق كل يوم من حياة الإنسان ،وبذلك نقعد عاجزين عن التغيير.

وما الوسيلة حتى نعيش تلك المحبة على سجيتها ،ونتفاعل معها بسلوكنا وأفعالنا وأفكارنا.

إننا نحتاج لمن استطاع أن يعيش تلك المحبة الحقيقية، والذي بدوره سيكشف لنا أسرارها وخفاياها ،ويسمو بنا للارتقاء إليها ،بأن يعطينا مفاتحها ،ويدخلنا عنايتها.

إن هذا الشخص الذي تتجه نحوه عيوننا وآمالنا ورجاؤنا، هو من سيجمعنا في بوتقة واحدة مع تلك المحبة.

المُخلّص والخلاص

لماذا يحتاج الإنسان لوجود مخلص .وما هو البديل ؟

عندما نناقش هذا الأمر وهذا التساؤل ،والذي تتفرع منه عدة أسئلة في مجال فهم هذا اللغز وحله ،فعندما نرجع لأنفسنا نرى أن مجمل القيم الإنسانية ،تكون موجودة وحاضرة عند بني البشر فنشعر بالراحة والطمأنينة ،فلا نشعر بالعدل إلا إذا عايشنا الظلم ،ولا نعرف قيمة الخير إلا إذا رأينا الشر ،إذاً القيمة للمخلص ليست فقط بهذا الصدد ان يقيم

العدل ،والمساواة ،والحرية ،والكرامة الإنسانية ،ويستخرج تلك الكنوز المادية والروحية للبشر جمعاء.

بل نحن بحاجة الآن إلى أن نخطو باتجاه العدل والحرية عن طريق فهم الظلم والعبودية ،أي أننا لسنا بحاجة لأن يحملنا المخلص نحو العدل والحرية والإباء والكرامة ،لأننا بذلك سنكون فريسة سهلة للانزلاق من جديد في معاناتنا السابقة، وفهمنا خطط العدو هو من سيجعلنا ننتصر ونفوز بحرية كاملة وعدل شامل.

مثال:-

يمكن لأي مؤسسة أو نظام أن يقدم جميع الاحتياجات للإنسان من عدل ومساواة وحرية وكرامة والتفوق والتطور العلمي والابتكار ،وأن تضمن له حياة رغيدة ،وهذه الأمور ليست بمستحيلة المنال ،لكن ورغم ذلك سيظل الإنسان في داخل ثناياه يشعر بنقص ما ،ويبحث عن شيء لم يفهم حقيقته ويختلج في صدره ،فما هو هذا الشيء الذي ينقصه ويموج في داخله!

إن هذا الشيء الجوهري الموجود في فطرة الإنسان ويصعب وصفه ،ولا يمكن أن يُترجم بكلمات ،هذا الشعور الغريب الموجود في ثنايا النفس البشرية ،والذي يشير إلى حقيقة ما تحتاج إلى عمق وفهم لخبايا النفس ،لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه ،ولكنه يمكن أن يكون وسيلة لفهم تلك الحقيقة الكامنة في ظاهرها ولا يمكن ترجمتها بصورة عميقة.

فالعقل لا يمكنه وصف الله خالق هذا الكون لأنه ليس كمثله شيء ،وكذلك هذه الحقيقة لا يمكن وصفها لأنها فطرت هكذا في ثنايا النفس إلا عن طريق الإشارة فقط.

اذاً فاحتياجات الإنسان لا تكون فقط في الأمور العقلية والمادية ،بل تشمل الأمور الروحيه والنفسية وهي الأمور الخفية في داخل النفس البشرية ،التي لا يزال علماء النفس قاصرين في إظهارها والوصول إلى معانيها وترجمتها.

نعم ،العدل مطلوب للإنسان بالدرجة الأولى ،وهو عامل مهم لاستمرار الحياة ووصفة إنسانية كبرى لا يمكن أن تتحقق بسهولة لكافة البشر ،حيث لم يستطع البشر تحقيقها

حتى هذه اللحظة في كافة أجزاء الأرض ،ولكن لو تحقق العدل على سائر الكرة الأرضية في الوقت الراهن ،سيظل الإنسان يبحث عن ذلك الشيء المخبأ في ثنايا نفسه ويتساءل، ما هو الجديد الذي ينقصني لكي أجده؟وما هو السر في ذلك النقص؟

سيظل يبحث من جديد للوصول إلى الهدف المنشود ،لأن النفس البشرية فطرت على ذلك الأمل الخفي الذي يعتبر المحرك الرئيسي لمقود النفس ،والاستمرار في هذه الحياة ،لكي لا تكون الحياة بدون رجاء وهدف ،فيكسوها الإحباط واليأس والظلام ،فستظل تلك الفطرة باحثة عن كل ما هو جديد ،لأنها فطرت أو خلقت في ذاتها لهذه القيمة.

إن تلك الفطرة المزروعة في ثنايا النفس تشير إلى المُخلّص، فالمُخلّص يمثل حلقة الوصل وليس الغاية الكلية من تلك الفطرة ،إن أساس تلك الفطرة هي الوصول إلى معرفة ذلك الخالق بالمعرفة العميقة والكلية ،فلا يمكن الوصول إليها إلا بالحلقة الأولى وهو المُخلّص ،فإن إلغاء وإنكار ونفي وجود

المُخلّص يقفل الباب لتلك المعرفة الحقيقية[1]،وهي المعرفة التي لا تمر إلا بهذا الطريق ،ومن يقول غير هذا فليصف لنا الله بغير الصفات الإنسانية في أوج تمامها والتي تصورنها عن الله؟

كل البشر تعشق العدل ولكن تختلف نسبته من شخص لأخر ،لأن العدل فطرة زرعت فينا لا نظرية نهواها أو شيء حسن نقر به ،انظر لسيرة العدل على مر التاريخ وفي الوقت المعاصر ،تجده حقيقة كبرى للبشر لم يطبق بالشكل المطلوب، وإلا حتماً انتصر على ساحة الظلم ،إن البشر يؤمنون بالعدل ويمحقون الظلم في قرارات تلك النفس ،لا يمكن أن نحقق العدل الكامل من دون مخلص ،لأن المُخلّص يمثل رسالة إلى النفس البشرية ،ليصحح منهجها ،ويضعها في قانون ودستور، يستطيع الإنسان من خلاله إعطاء الآخر ما يتمنى أن ينال من الآخر ،ولا بديل إلا الأمل لخلاص تلك النفس القاحلة .

---

[1] ـ عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله الإمام الصادق(عليه السلام) يقول: " اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك(المخلص)، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني " ،كمال الدين وتمام النعمة / الإمام الصدوق ص ٣٤٢-٣٤٣.

إذا كانت بوابة النفس المغلقة تحتاج إلى من يملك مفتاحها.فما الآلية التي يستخدمها المخلص لتسديد احتياجها. مع أن الاحتياج يسبب نقصاً في النفس البشرية؟

إن على عاتق هذا المخلص الذي تنتظر قدومه أغلب البشرية تقديم تفسير حقيقي وواقعي يفهمه أي إنسان ويحاكي الذات لكل البشر ،أو نظرة منطقية تتناغم مع صيغة النضج الفكري للبشر ،وكأن هذه النقطة تتكلم عن نفسها بحقيقتها عند بزوغه ،فتنكشف لنا واضحة جلية كمنظر طبيعي نرى جمالها وأسرارها المخفية ،وكنوزها المتلألئة ،وبريقها الذي جهلناه في أنفسنا ولم ندرك كنهَهُ.

إن قصور آلتنا المعرفية حول هذه النقطة في فتح تلك البوابة وترجمتها ،هو دليل وإشارة لوجود ذلك المُخلّص التي أنبأتنا تلك النفس بقدومه ،وهو الوحيد الذي يمتلك مفتاح تلك النقطة المشفرة والمعقدة ،وهو وحدة القادر على تسديدها ،وإن ذواتنا محتاجة نحن البشر إلى الترابط والتبني

لهذا الاحتياج ،والمشاركة لسد ذلك النقص ولتفعيل وفهم لغز ميكنة النفس البشرية.

إن صناعة ذلك الخالق لنقص ما في أنفسنا لهُ عامل محفز وعطاء ،لنتفكر ونبحث مجتهدين في دوامة وأعماق النفس، ونفهم تلك الإشارة وإلى ما ترمي إليه ،ولا نصلبها وننكرها ونتجاوزها ،بل نتغلغل في عمقها وندرسها ونستشفي حقيقتها ،ونعتبرها ضمن تلك التساؤلات المخفية عنا ،وان الطريق في فهمها هو السير باتجاهها والبحث في أعماقها، فالطريق في هذا الاتجاه وليس سواه طريقاً.

كيف نهيئ النفس البشرية لتعقل حقيقة المخلص؟

لقد غدا جلياً ذلك العداء الأزلي مكشوف الساق بين المادة والنفس البشرية ،وأن المادة عدو النفس الأول ،ولسنا نتكلم عن الإنسان الجسد بل عن الإنسانية التي يستبطنها،

وهذا المفهوم العقلي للذات ،والذي نرى من خلاله تفوقنا على باقي الخلق وتميزنا من خلاله ،هو الأكثر عرضه لإصابة بأمراض المادة ،ولكن العقل وجد الطريق الذي يحمي فيه النفس ويصد هجمات المادة ،فجعل للنفس نهجاً ليحفظها أثناء التغيير المقدر للزمن ،الذي يقوده الزمن وتفتعله أطوار المادة ،حتى تواكب النفس هذا التغيير دون أن تتوقف فتهلك أو أن تكسرها الضربات الثقيلة للتغير الدائم للمادة.

إذاً فالعقل هو الضمان الوحيد الذي يحفظ النفس نيّرةً شفافة ،وبهذا سنبدأ بفتح أبواب النفس المغلقة عن طريق العقل ،فالنفس تصاب بالمرض وتتألم دون أن تعيَ مصابها، وبالتالي يستفحل عجزها بإيجاد العلاج ،فلا يمكن للأعمى من الولادة أن يفهم ما يصوره له بصير ،وكذلك النفس لن تعي أمراض المادة فيها ،مهما تراكمت وعظمت وتشعبت من دون تدخل العقل.

وعلى ذلك فإن الولوج إلى النفس البشرية وإظهار الأسرار الكامنة فيها ،والتي حُجزت خلف القشور التي نبتت

على جدرانها بفعل المادة ،ولن يتم ذلك الولوج من دون السماح للعقل بتثقيفها وتطهيرها وإزالة الشوائب منها والعالقة فيها ،وهذه القاعدة الأولى والمفتاح الأول لبوابة النفس الرئيسية.

كثيراً من المشاعر تختبئ خلفها أسرار عظيمة ومعقدة، ولن نتكلم عن جملة المشاعر بأكملها بل سنلتزم بموضوع البحث ألا وهو الأمل بالخلاص.

وعندما يغزونا ذلك الشعور وتعجز أدمغتنا عن التكهن بجذر وأصل ذلك الشعور ،وعن المنبع الذي ينبعث منه، فيصل إلينا قوياً يهز أركان المنطق ،وغامضاً عصياً عن الاستنتاج ،فنحن في حالة انفصال عن النفس ،وكل ما علينا قرع أبواب العقل ،وتسليمه دفة مسيرنا ليعمل على تنوير النفس وصقلها واسترجاع بريقها.

فبالعقل نعي تطفل المادة على النفس ونعي أيضاً طرق مواجهتها ،وللتوضيح نحن نتكلم عن العقل لا الدماغ ،لأن الدماغ أو العقل المادي يعجز عن خلق الوسائل التي تخص

الذات البطينة في الإنسان ،ودوره يقتصر في المادة فقط ،فيخلق بمنطقه وينظم تكيفاته مع ذلك التغير المستمر والدائم للمادة.

فأدمغة البشر متشابهة تماماً ومن الخطأ التمييز بينها ،وإن الاختلاف الذي نلحظه بين البشر على سبيل الفكر والإبداع، ليس إلا اختلاف في نوعية المعلومات التي خزنها في مسيرته على أرض المادة ،باستثناء (المتخلفين عقلياً ونمواً) ،والتجارب التي اقتضى عليه العبور من خلالها واكتساب الخبرة ،ودعوني أسميها (الخبرة المؤقتة) ،لنراعي فعل الزمن وتتابعه في صقل الخبرات وامتزاج الأفكار ،ليخلص في كل طور أو مرحلة إلى أفكار جديدة الطرح ،ولكن جذورها ممتدة إلى أقاصي الأزل، فالعقل المادي يستطيع أن يطور الآلة ،ولكنه عاجز تماماً عن تطوير النفس أو مخالطة الروح ،والعقل هو من تُعقل به هذه الأمور ،وهو القادر المحتكم والمرجع ومنه تخلق الوسائل.

وكما للنفس أمراضها التي تحجب عنا نورها ،كذلك العقل عرضة للأمراض تحجبنا عن ضياءه ،فقشور النفس كما قلنا هي انعكاس للصور المادية فينا ،فالمال مثلاً يعكس الحسد

والطمع ..ألخ في النفس والبشرية ،وقشور العقل هي انعكاس المنطق الدماغي واستنتاجاته ،فإن تبني فكرة ما والتشدد في حيثيات قواعدها وسلوكها ،يحجب عنا الولوج إلى العقل، والسماح له بكشف الغطاء عن الحقائق ،فنحن في طبيعتنا ننتهج منهجين في تبني أفكارنا وبناء منطقنا ومبدأنا ،وبالتالي انتهاج سلوك معين وأسلوب خاص ،وهذا ما يجعلنا مختلفين فكرياً ومتضاربين بالرأي وهما:

المنهج الأول:

المنهج الانتقائي: هو انتقاء الأفكار التي تناسب الخبرة الدماغية المكتسبة زمنياً ،والعمل على تطويرها لكشف الحقائق ،فنلقط الأفكار من حولنا والتي تراعي وتوافق خزانة التجارب.

المنهج الثاني:

المنهج اللاانتقائي: هو مجموعة الأفكار والمبادئ التي فرضت علينا ،وتناقلناها عن طريق وراثتها.

ومثال على ما سبق:

شخصان يعتنقان الدين الإسلامي أحدهما ورث مضمون هذا الدين من أبويه ،والأخر ينحدر من خلفية وديانة أخرى، وهما متفقان على النتيجة التي تخلص إليها مضمون الدين الإسلامي ،ولكنهما يختلفان تماماً بالأدلة والحقائق التي يملكانها ،لاختلاف السبيل الذي ساروا عليه للوصول لتلك النتيجة ،فالأول لم ينتقي أفكاره ومبدأه بل ورثها وحافظ على قواعدها كما هي ،والثاني وبطبيعة الحال كان عليه أن يختار وينتقِ الأفكار بالبحث واقتفاء الأدلة والحقائق ،أي أنه تخطى بإرادته ومقدرته كل الصعاب للوصل للحقيقة.

والنتيجة مما سبق وخلاصة ما قلناه أن الدماغ البشري(العقل المادي) عند سائر البشر متشابه ،وتختلف فيه نوعية المعلومات التي خزنها الزمن ،وكذلك النفس البشرية هي واحدة عند كل البشر ،ويختلف فيها درجة التلوث أو القشور كما سميناها ،وأن الشعور المرافق لذواتنا والنابع من أقصى مشاعرنا وأدق أحاسيسنا ،والذي ينبع من النفس

البشرية كأصل وليس تفاعلاً في القشرة التي تكسو النفس، وهي ليست تركيبة من المشاعر أو نتيجة لاتحاد شعور بأخر بل هي الأصل ،وإنما تشعرنا به هو نواتها ،ولم يختلف الإنسان أو يتعارض بشان ذلك منذ الأزل ،لذلك يتفق جميع البشر مع اختلافهم الفكري ،فهم متفقون وموقنون بوجود المخلص وبيوم خلاصهم.

هل الطريق لمعرفة المخلص واضحاً للنفس وجلياً للعقل. أم أن الغموض يحجبه عن قدرتنا في تبني حقيقته؟

هناك صراع دؤوب ومعركة مستمرة بين الغريزة وأنظمة العقل ،تلك الأنظمة التي اكتسبها العقل عبر مسيرته في هذه الأرض ،فراح يكبح بعض غرائزه ،وراحت غرائزه تثور عليه، وعظم ذلك التحدي فأضعنا بوصلة الطريق إلى الحقائق الكاملة.

وربما قد أراد الله هذا الصراع فينا ،ليلفت أنظارنا إلى جهة أخرى ألا وهي الإيمان ،ولكن لاستكمال الحقائق تحتاج الإيمان في تبيانها ،وأخص الله حقيقة المخلص لمعرفتها بالإيمان ،وبهذا تتحول حقيقة المخلص من حقيقة مستترة تحتاج إلى البحث والتحري ،إلى عقيدة أصيلة في النفس البشرية ،تدعمها الروح ويطلبها العقل ،فحقيقة المخلص هي الحقيقة الوحيدة بعد حقيقة الله التي تحتاج إلى اتحاد ثلاثي روحاً ونفساً وعقلاً، للوصول للمعرفة والولوج إلى الحق ،وإن تبني حقيقة المخلص دون ذلك الاتحاد هو تبني خاطئ ،وهذه هي القاعدة الأساسية لإدراك هذا الشعور فينا ،فلو استخدم الإنسان النفس في فهم هذه الحقيقة ،وتجاهل دور الروح والعقل ،لكانت تلك المعرفة هي معرفة عاطفية غير مدعومة بأدلة العقل ومنظار الروح، وإن عدم استخدام أنوار الذات الثلاثة يجعلنا قاصرين عن إدراك تلك الحقيقة.

ما هي آلية التحقيق في حقيقة شخص المخلص؟

إذا قرر شخص ما دراسة الأحجار الكريمة ،فلا بد له أن يعزم ويبحث عنها في أماكن تواجدها وتسجيل ملاحظاته حول كيفية تشكيلها ،والمعادن الموجودة في تركيبها وبعدها يكون قد نجح في دراسة تلك الأحجار ،فإن الفعل الأهم هو العزم والبحث ،لأن تلك الأحجار لن تأتي إليك ما لم تذهب إليها ،ومثلها مثل الكثير من الحقائق فهي موجودة في كل مكان ،وقد تكون تلك الأماكن وعره ويصعب الوصول إليها ،ولهذا لن ننجح بدون العزم والإرادة.

إن هذا العمل الذي نقوم به على مستوى حجر لا نفهمه، فكيف إذا ارتقينا للبحث في شخصية بشرية كالمُخلّص.

حقيقية إن ما نحتاجه لكي نبحث في تلك الشخصية ،هو أعمق بكثير من دراسة حجر أو أي شيء ،لأننا نتعامل مع نفس تملك من الصفات ما نملكه ،فإذا أردنا التعرف على أي إنسان وحثه على إقامة صداقة بيننا وبينه ،فإننا نحتاج إلى عامل

جوهري إلا وهو الثقة ،فليست هناك صداقة أو أي علاقة بدون الثقة ،إنما يستوجب علينا أن نؤمن ونعتقد اعتقاداً تاماً بوجود هذا المُخلّص،وتنقية أنفسنا وقبول شروط تلك العلاقة بينك وبينه.

إن قبولنا لشخص ما يتوقف على الانطباع الذي سيخلفه فينا ،فالعلاقات الاجتماعية جميعها تحتاج لكي تتكون إلى عناصر مهمة كالثقة والتأثير الإيجابي والصدق ....ألخ.

فقبولنا لشخص ما لإنشاء علاقة معه ،لا يكتمل دون اكتمال جميع عناصر تلك العلاقة ،وهنا يأتي الدور الأهم لهذا القائد وكل أعضاء الفريق ،بإنشاء علاقة كاملة متكاملة ضمن أسس ومهام تبدأ بالفرد ولا تنتهي بالمجتمع.

إذاً فإن تلك المواصفات في هذا الشخص الذي يحمل آلية التغيير ،والذي سيصحح مسار هذا العالم بما لديه من نماذج يقدمها إلى هذا العالم.

إذا لا يمكن لقائد عسكري أو فيلسوف أو سياسي بارع أو عالم في مجال ما ،أن ينشر العدل والمساواة ويضمن حقوق البشر

وهو وحيد تلك الصفة ،فمن الضرورة أن تكتمل المواصفات بهذا القائد في كافة المجالات.

إن هذه المواصفات تكاد تكون لشخص ذلك المخلص (الإنسان الحقيقي الكامل) التي تتوفر فيه مؤهلات (العصمة) والجعل من الله لهذا الأمر ،وإلا وقعنا من جديد في سلسلة لا تنتهي من التصادمات في داخل وخارج هذا الفريق ،كما انهارت جميع الدول بواسطة هذين العنصرين.

مطبب الأدواء

يعتقد الموحدون من بني البشر بأن الله عادل بالإطلاق، وبينما نرى بأن الظلم منتشر على هذه الأرض ،ونرجع إلى أنفسنا ونسألها:

- أين هو ذلك العدل الإلهي؟
- لماذا لا يتصرف الله وينقذ الإنسان من الظلم الواقع عليه؟

إننا بالعقل لا نستطيع إنكار الشر ووجوده على الأرض، ونتفكر ونقول ما هي الوسيلة التي يريدها الله للقضاء على

الشر دون الأشرار ،إذا جاء الأخيار وقضوا عليهم فأن هذه الطريقة اسلوب بشري وليس إلهياً !

وإننا عندما نستخدم الشر في مواجهة جنوده فسوف نشابههم ،ونكون قد افتعلنا شراً جديداً لا ينتهي إلا بنهاية الإنسان.

وإن وسائل الله تختلف كلياً عن تلك التي للبشر ،فالله لا يريد القضاء على الإنسان ،بل الشر الكامن فيه وهو ليس مادة ،إذا فالله لن يعطي الأخيار سلاحاً مادياً لمجابهة الأشرار كما قد نتصور ،بل سينزع اسلحتهم ويبيد شرهم.

وهذه الوسيلة هي وجود المُخلّص الذي سيقوم بثورة من نوع جديد أسميها(ثورة النفس البشرية)[1] ،فهي ثورة روحية يتخلص فيها الإنسان من الشر الموجود فيه[2] ،يأتي بطريقة لكل

[1] - إن ثورة النفس البشرية ما هي إلا مرحلة أولى وقفزة نوعية لتصحيح المسار البشري ،وبعدها تصدع الثورة الثانية الكبرى(ثورة العقل البشري)، أي ان المخلص هو من يخطو بتلك العقول لتبغ التفوق المعرفي والعلمي والديني وتكتمل بها أحلام البشر.
ولن تقف .. فالثورات في عصره .. لا تنتهي.

[2] - قال الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة: " احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك ".

فرد من البشر أو وصفة مستقلة عن الآخر ،ليحارب الشر الموجود فيه ،بأسلحة روحية لا أسلحة مادية فتاكة.

وبالضرورة سيوجد الله مخلصاً يحقق إرادته في القضاء على الشر وإقامة العدل ،وبالتالي يكون الله كما اعتقد الموحدون عادلاً وحافظاً وعدَهُ وصَدق المرسلون ،وهنا يكون الشيطان محاصراً لا يحرك ساكناً ،مغلوباً ومسحوقاً إلى الأبد ،وسيكون الإنسان نقي النفس وديع الروح ،مستعيداً صفاته الأولى قبل نزوله الأرض ،ونفاذ الشيطان فيه وإغراقه بالشر.

إن سبب تدافع الإنسان في الأرض واقتتاله هو اختلاف الرأي وأحادية التفكير ،وعدم التخلي عن قناعته ومفاهيمه التي أحدثها المناخ الديني ،والاجتماعي ،والثقافي ،وبهذا سنكون وبالضرورة القصوى محتاجين لمخلص واحد ،ولا يمكن لعدة أشخاص مختلفين في الرأي والمرجعية الفكرية، إنتاج ثورة إصلاح وترميم للإنسان ،وان الإنسان يختلف عن غيره سيكولوجيا وبالتالي لن يستطيع أن يأتي بفكرة واحدة موحدة لكل نفس بشرية.

هي فكرة جوهرية جامعة تحاكي النفس البشرية بالدلائل والبراهين العقلية والمنطقية ،فكرة يقدمها شخص واحد، ووجود أكثر من مخلص يستوجب أكثر من إله ،وهذا ينافي المنطق العقلي فلا يوجد إلا إله واحد قادر متصرف في هذا الكون الشاسع ،وكذلك وجود أكثر من مصلح يستوجب أكثر من اختلاف فيما بينهم واختلاف في طرح الأفكار، وبالتالي اختلاف بين البشر فيما يتلقونه من أفكار مختلفة ،إذاً يعطي المُخلّص الفكرة الاصلاحية التي تجعل الإنسان مصلحاً في نفسه ،وبعد أن تشيع هذه الفكرة بين الناس ينتزع الشر ويستأصله ،وكأن المُخلّص يعمل عملية جراحية يستأصل فيها الشر أو المرض من دون إيداء المريض ،ومن هنا فالمُخلّص يستلزم أن يكون بشراً ليقتدي به الآخرون.

ما هي الصيغة العلاجية التي تضمن الشفاء مهما كان المرض؟

نجد أن الشر واحد ولكن تعامل النفس البشرية مع هذا الشر وَلّدَ اختلافاً فيه ،أي أن تركيبة النفس البشرية بتعاملها مع الشر أحدثت شروراً جديدة من أصل الشر ،بينما الخير لا يتولد منه إلا الخير.

سيكون على عاتق المصلح ان يأتي بفكرة خارقة لحدود العقل البشري ،لم يتوصل لها الفلاسفة أو علماء الأنثروبولوجيا أو علماء السيكولوجيا ،بتقديم علاج ذي قدرة على التعاطي مع جميع الأمراض كل على حده ؟؟

علماً أن طرح فكرة معينة لمجموعة من الناس ،يختلف مستوى الفهم لديهم والاستيعاب والنضج الفكري مع اختلاف النفسية البشرية من شخص لآخر ،واختلاف العادات والتقاليد الاجتماعية ،وهنا نؤكد على جوهرية هذا العلاج ومقدرته على التعامل مع الجميع باختلافاتهم ،ولكن

من تقبل العلاج وتعافى من جميع أمراضه ،سيظهر عليه تغير في سلوكه وتعامله مع نفسه ومع الآخرين ،وسيبرز دوره كمساعد ومعالج للآخرين.

إنّ الناس في هذا العالم والطوائف والديانات تعيش في سجن الظلم والغفلة والتشويش الفكري والمعرفي وسبات العقل وغياب العدل وكثرة الأمراض النفسية نتيجة ما أوردناه ،ولكي تخرج الناس من كل هذا تحتاج إلى **صيغة علاجية تشمل الكل ويستفيد منها الجميع.**

ما الاطروحات التي يقدمها لنا المُخلّص؟

إن هذا العالم وما فيه من مجتمعات مختلفة كلياً ،في العادات والتقاليد واللغات والفكر والصراعات السياسية والمذهبية والفكرية والطبقية ،تتطلب من هذا **المُخلّص أن يكون ذا مواصفات شاملة متكاملة مطلعاً على جميع الحضارات ،ولديه إدراك كامل وفهم غير اعتيادي بتحليل النفس البشرية ،ولديه**

القدرة على طرح نظريته بدون عمل صراعات جديدة بين المجتمعات المختلفة جغرافيا.

مثال :-

الشعوب المتواجدة في إفريقيا والتبت والقبائل المكتشفة حديثاً في غابات البرازيل مختلفة في الحداثة[1] مع الشعوب الأخرى.

على هذا المُخلّص أن يقدم علاجاً للأمراض التي تخص جسم الإنسان ،بل كل الأمراض قاطبة ،وخصوصاً الأمراض المستعصية التي توقف العلم في إيجاد علاج لها ،وكذلك الأوبئة التي تهتك بالبيئة وتأثر على الإنسان ،وأن يأتي بنظريات جديدة متطورة بحيث تجعل الحياة سهلة وسلسة لتتقدم عجلة العلم والتطور والحداثة في جميع العلوم ،بل ويأتي بعلوم لم تكن معروفة ومعهودة ولا يوجد لها أصل أو شبيه في

[1] - **الحداثة** لغويا هي مصدر فعل حَدَثَ يَحْدُثُ، ووصف لما هو حديث ،وتفيد ما استُحدث ،أو ما جَدَّ من تطور، كما تفيد العصرنة ومستجدات العصر الحديث.

السابق ،أي علوم جديدة لم تسمع بها البشرية من قبل ،علوم لا تعد ولا تحصى ينبهر من جهله الإنسان عندما يراها.

إن محاكاة العقل والنفس البشرية تتطلب دراسة عميقة للوصول إلى أعمق نقطة فيهما ،وهذا لكل نفس وعقل بشري واحد ،للكشف عن مقدرتها والتغلغل بين ثنايا تلك النفس، لذلك نستنتج أن هذا المُخلّص لديه قدرة هائلة على فهم الإنسان وإظهار إنسانيته المخفية والضامرة.

حيث إن بمقدور واستطاعة المُخلّص تقديم الفكرة والنظرية التي تتضمن حلاً فريداً لكل ما يستقي منه.

مثال :-

يطرح عشرين نظرية على سبيل المثال في أمراض النفس البشرية لكل البشر ،فيستفيد منها الكل على حسب الحاجة التي تنقصه.

يكون ذات صفة قيادية مستقلة ومنفردة لا يحتاج إلى أحد سوى الله ،والكل محتاج إليه ،الأفكار التي يأتي بها أفكاراً لا

تحابي أحداً لا نظرية علمية ولا سياسية ولا مذهباً دينياً ،أي يقدم شيئاً جديداً.

إن هذا المُخلّص لن يرتدي لباساً طائفياً أو سياسياً أو اجتماعياً ،لأنه يأتي ويقدم ما عنده لأجل الإنسان بحد ذاته أي بصريح العبارة يأتي للمستضعفين والمستكبرين على حد سواء، وبعبارة أدق يأتي للبشرية جمعاء ،لهذا الإنسان المتصرف على هذه الأرض.

يمتلك أسلوباً بتقديم نمط حياتي جديد ويضمن فاعليته، ويخلص المجتمعات الإنسانية من الشوائب التي علقت به على مر السنين ،ويأتي بقواعد وسلوكيات تكون في محل القواعد القديمة ،هذا السلوك الذي يستطيع الإنسان من خلاله ،أن يغوص في إنسانيته بأعلى درجاتها ويكتشف ما كان مغيباً عنه بفعل عدم المعرفة وقلة التجربة.

إن هذا العقل البشري الأسمى في هذا الكون سينطلق على درب المُخلّص ،للتوسع بالفكرة والوعي وسيؤثر على محيطه

وبيولوجية[1] الجسم الحاملة له ،بمعنى أنَ الإنسان المتقدم فكرياً وعلمياً والمتحضر سوف يحافظ على صحة الأرض والكواكب ونفسه ويحقق ازدياد وطول عمر الإنسان.

يقدم نموذجاً واقعياً وعملياً للمساواة بين الناس على كافة الصعد ،بمعنى يقدم المساواة في شتى المجالات في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية والسياسية ..وغيرها.

المُخلّص يكشف الحقائق المزيفة والمزورة وذلك بالمنطق العقلي والقيام بالمسئولية الإصلاحية ،التي يرتقبها البشر وينتفض على هذا الواقع التي تعيشه تلك المؤسسات والمنظمات والطبقات الارستقراطية والطبقات الغنية التي عاثت فساداً في التاريخ ،وطالت أيديها جميع المنظومات الفكرية والعلمية ،واختلقت أحداثاً تخدم مصالحها ،وعملت جاهدة على حرف الإنسان عن المسار الصحيح بما يتماشى مع مصالحها وسياساتها آملة بخلق مجتمع لا أخلاقي

[1] - علم الاحياء.

(الانحراف عن القيم البشرية) ،وتحاول خلق مجتمع متخلف لديه من العلوم ما صنعته تلك الأيدي.

يأتي المُخلّص بمنطق مثالي كامل يصلح التصدع والنواقص في المنطق الذي عرفته البشرية منذ آلاف السنين ،ويصحح مسار الإنسان الذي انحرف عن قانون الطبيعة البشرية ،وهي مجموعة القوانين والسلوكيات الموجودة في النفس البشرية غريزياً ومنذ القدم ،وهذه القوانين التي ساعدت الإنسان على الاستمرار في الحياة والتعاطي مع الآخرين ،وإنشاء الأسرة ثم المجتمع ،وهي الوسيلة لانفتاح الإنسان على المجتمعات الأخرى ،وجعله مترابطاً بينه وبين الشعوب والقبائل ،علماً بأن هذا القانون يختلف من مجتمع لآخر من حيث السلوكيات والأعراف والتقاليد ،لكن في النهاية يتفق بالحقوق والواجبات ،وهنا تأتي مهمة المُخلّص في التعاطي مع هذا القانون وإزالة الشوائب التي علقت به وتكميل النواقص فيه، والهدف الأسمى منه اصلاح الفرد في المجتمعات الإنسانية.

يكشف منطق القانون الوضعي التي ظلت فئات معينة من البشر تتبناه ،لأن بعض القوانين يكون ناقصاً ولا يخدم إلا الطبقة التي قد وضعت ذلك القانون.

مثال :-

قانون تصنعه قوى بشرية معينة هو قانون يمس واقع هذه القوى التي صنعته ،وبالتالي فإن الكثير من الفئات سينالها الظلم والانتهاك بسبب وجود مثل هكذا قانون ،لأن القانون التي تصنعه القوة لا ينطبق على صانعيه بل ينطبق على الطبقة المستضعفة ،والاستضعاف هو نتيجة عدم تساوي القوة والإمكانات بين البشر(القوة العقلية والقوة الجسدية) وعدم توازن العدة والعتاد.

وتفاقم الوضع منذ القدم في تاريخ الحضارات فأصبحت لدينا طبقات في المجتمعات البشرية ،وظهرت هذه المشكلة بسبب التصارع على السلطة والنفوذ ،وفي بدايات تلك الحضارات ومنها اليونانية كانت مقسمة إلى طبقة الحكام والحكماء ،وطبقة الأشراف(النبلاء) ،وطبقة المحاربين ،وطبقة

الفلاحين ،وطبقة العبيد ،وعندما ظهر النبي موسى (عليه السلام)في مصر عادت على شكل شرائح بصيغة مشابه جديدة وهي فرعون ،وهامان ،وقارون ،وموسى وبنو إسرائيل والمتفعون ،أما في بدايات هذا القرن ظهرت في دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ثلاث طبقات ،طبقة الأغنياء والطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة(الطبقة المحرومة والمسحوقة) ،ونتيجة لهذه المسيرة التاريخية في تلك الحضارات ظهر لدينا في **هذا العصر نموذجان هما المستكبرون في الأرض والمستضعفون فيها.**

الطبقة المستكبرة وضعت تلك القوانين وصاغتها بصياغة محكمة لتخدم مصالحها ونفوذها ،إن هذا المرض المجتمعي والوهم الذي استسلمت إليه البشرية ،جعلتهم يقبلون بما يفرض عليهم من ذوات القوة والسلطة ،وفي أذهانهم أنَ هذا هو قانون طبيعي في الأرض ،بينما هذا القانون وضعي مصنوع من الأيدي البشرية ،وهذا القانون الذي يجعل من تلك الطبقات ،إما في حالة تدهور أو ازدياد ،فالفقير يزداد فقراً

والغني يزداد غنى على ازدياد ذلك الفقير ،وإن هذا القانون ينافي العقل والمنطق ،طالما نحن متفقون على أن الإنسان متساوٍ في الوجود أو الخلق.

يأتي دور المُخلّص هنا لإزالة هذا القانون الذي استفحل منذ القدم ووضع قانون جديد يضمن لجميع الناس المساواة في الحقوق والواجبات.

كما أن هناك قصوراً في **التطور العلمي المعاصر مقارنة في التغيرات البيئية**[1] **والمناخية واضمحلال الثروات الباطنية** ،إذ إن هناك اختلالاً خطيراً وكبيراً ومروعاً في التوازن البيئي والمناخي ،وذلك يظهر جلياً من **الأبحاث العلمية والجامعية ولا يكاد يخفى على أي إنسان** ،وأن ما توصل له العلم لا يستطيع سد هذه الثغرات للحفاظ على استمرارية الحياة على هذه الأرض ،وأن معالجة هذه المشكلة المعقدة تحتاج إلى مدة زمنية أطول استناداً إلى التطور العلمي الحالي ،وأن هذه المشكلة تتفاقم مع مرور الوقت ،أي أن هناك تقصيراً واضحاً

---

[1] - من أهم ملوثات البيئة والتي تدور حولها محاور التلوث تلوث الهواء و تلوث الماء و تلوث التربة ،ولا تزال ظاهرة التلوث البيئي تزداد يوماً بعد يوم ولا أحد يحرك ساكنا لعلاجها.

في التطور العلمي أمام تفاقم هذه المشكلة والكارثة والبيئة، وبعبارة أدق أي أن مشكلة الكارثة البيئية ومنها (ثقب الأوزون) تسبق التطور العلمي فلا يستطيع العلم أن يصل إليها بتاتاً لأنها تسبقه على الدوام.

مثال :-

حالياً مئات الآلاف من المجموعات الحية تواجه خطر الانقراض والزوال ،وهذا ما سيؤثر سلباً على الإنسان طالما هو رأس تلك المجموعات الحية ،فلو اختل عنصر وهلك أو نقص مثل البكتريا فإنه يؤثر على بقية الكائنات الأخرى لترابطها في التوازن البيئي.

كيف سيستطيع إنسان واحد ألا وهو المُخلّص ،أن يكون قادراً على مواجهة تلك التحديات التي تصب على عاتقه ،في وقت ستكون الأنظار موجهة إليه وإلى ما يقدمه من حلول ! وإلى ماهية الآلة العلاجية لكل ذلك! يمكن أن نجيب بالحلول التالية:

١- **حلول سلوكية:** أتصور العلاج لهذا الموضوع أن يبدأ بإصلاح الفرد وتوعيته ضد أخطار العبث بالبيئة ،وأن نتائج العبث بالبيئة وخيمة عليه وعلى جنسه البشري.

٢- **حلول علمية:** استبدال الصناعات البتروكيمياوية والبترولية .....ألخ ،لصناعات جديدة مستحدثة تخدم البشر والبيئة على حد سواء ،وما زال العقل البشري عاجزاً عن إيجاد تلك الحلول ،والشركات والمؤسسات التي تحول دون تطور العلم في ذلك للحفاظ على مصالحها ومصانعها.

المخلص يقدم نموذجاً لهذا العالم الحافل بالجهل والخرافة والجريمة وانعدام القيم ،كما يسعى لكمال النفس البشرية ،وأن هذا النموذج هو الوسيلة للارتقاء بنور العقل للوصول إلى أعلى درجات المعرفة.

إن استخدام العلم سلبياً وتسخيره لخدمة الشر من قبل أرباب الحروب جعل الأرض خراباً(**الحربين العالميتين الأولى والثانية**) ،وكل مكان لا يكاد يخلو من ثمار أعمال هؤلاء الذين

عاثوا في الأرض فساداً ونشروا الجهل هنا وهناك ،وحرفوا الإنسان عن مساره باستخدام أخبث الأساليب والوسائل، وزرعوا الفتنة بين المجتمعات وصنعوا الإرهاب والمنظمات المعادية للإنسانية.

إنها لمهمة صعبة تقع على عاتق هذا المُخلّص لإزالة كل الشرور المتراكمة منذ القدم فوق كواهلنا ،ومع أن المقدرة على ذلك موجودة لدينا إلا أننا لا نستطيع معالجة كل ذلك ،إذ إن مقدرتنا على التغيير تحتاج إلى من ينتشلها من القاع ،وهنا يأتي دور المُخلّص ويقدم نفسه نموذجاً حياً للإنسان الحقيقي، فيجعلنا قادرين على استخراج تلك المقدرة من ذواتنا وتحفيزنا للاحتذاء به والعمل معه يداً بيد ،إننا نحتاجه حقاً لإشعال فتيل الثورة فينا.

مما هو معلوم أن الثروات الموجودة في الأرض متجهة نحو الاضمحلال والنفاذ وأنها محدودة ضمن مدة زمنية معينة ،وأن التزايد السكاني واتكال الإنسان على الطاقة بكل ما يقوم به تجعلنا في كارثة حقيقية ،لو فقدنا تلك المصادر التي

نستمد منها الطاقة ،وأن الاعتقاد السائد في الروايات المتناقلة في الأديان والمعتقدات حول المُخلّص ،بأنه سوف يأتي بمصادر طاقة تضمن استمرار الحياة البشرية ،بما يأتيه من علم يخولنا الانفتاح على المجرات الأخرى وتسخير كل شيء موجود لخدمة البشر.

لا يتسنى لي إلا القول إن كل الأفكار التي أوردتها من علاج النفس والعقل والبيئة أي علاج الإنسان وما يختص به، والتي يقدمها المُخلّص بل يقدم غيرها على حسب ما تقتضيه تلك الأزمنة الكائنة والأزمات الصادرة من البشر على الدوام، لإعطاء رؤية يمكن أن نطبقها كتشابه على المعوقات التي تواجه الإنسان على هذه الأرض ،وكل التطورات القادمة والتي تخص حياة الإنسان والتي سيساهم المُخلّص في حلها.

شخص المُخلّص

إن ارتباط هذا **المُخلّص** بما قيل عنه في حقبة الأنبياء والرسل ارتباطاً وثيقاً دالاً عليه ،جسد تلك الإشارات الواضحة والخالدة في ظهور المُخلّص يوما ما ،حيث إن الأنبياء استنتجوا من الخبرة والمعرفة الإلهية ووصولهم إلى درجات عليا من النبوغ الفكري ،أنه لا بد من **اكتمال العدل** على يد مصلح في المرحلة الأخيرة من حياة البشر ،**كما أن هذا المُخلّص مذكور عندهم في كتبهم السماوية المقدسة ،وهذا ما جعل المُخلّص مرتبطاً بالسماء ،وضمن الإرادة الإلهية التي ابتدأها عند خلق هذا العالم.**

إن هذه الإرادة الإلهية بما فيها من خبره وحكمة ،اقتضت تلك الحقب أن يصل العقل البشري إلى مرحلة يتقبل فيها الفكر الجديد ،الذي يريده الله أو الذي يأتي به هذا المُخلّص.

إن هذا المُخلّص المنتظر من الشعوب والأمم ،هو الحل الواقعي الذي سيقدمه الله للبشر ،ويفي بوعده من خلاله، ويعطي بداية جديدة يتعامل الله فيها مع خلقه وفق ما يريد.

يتميز المُخلّص بالنسب الواضح وأنه وريث الأنبياء في الصلاح !!

من الجميل أن يأتي شخص بكل العلوم الانسانية الجديدة التي لا يضاهيها أحد ،وليس معروفاً حسبه ونسبه ،وهذا شيء حميد عند بعض الناس!

ولكن؟

إذا كان نسبه وحسبه معروفاً ،فإنها تزيد في شخصيته وكفاءته والوثوق به ،صحيح أن بعض الشعوب لا تهتم

بالنسب ،ولكن المُخلّص إذا انحدر من سلالة الأنبياء يعطي مكوناً جديداً مماثلاً في الصلاح والإصلاح ،كما ابتدأ بجده آدم وينتهي بأبيه الخاتم.

ما هو الفرق بين المُخلّص والأنبياء والرسل؟

عندما جاء آدم وكانت فيه بداية للخلق البشري ،وقدم لأبنائه رسالة نموذجية من التعاليم الإلهية وهيأ البداية الأولى للخلق ،وما لبث الجنس البشري بعد فترة من الزمان أن فسد وتفشى الجهل فيه ،وانتشرت الأمراض البشرية ومنها الشذوذ العقلي ،ونتيجة لذلك حل الخراب في الأرض بذلك الطوفان العظيم وبدأ الله مع الخلق بداية جديدة بنوح(عليه السلام)، وقدم للجنس البشري الجديد تلك التعاليم الإلهية التي تضمن سلامة الفرد والمجتمع ،ثم بدأ الجنس البشري بالتكاثر من جديد وبدأ يرتحل في الأرض وينشئ حضارات وثقافات

ولغات ،ثم سيطرت عليه حالة من الضياع والتيه والتشتت الفكري فيما يخص بالسماء والأرض والخالق ،فأرسل الله الكثير من الأنبياء والرجال الصالحين لإرشاد تلك المجتمعات إلى الطريق القويم.

ومع انتشار الفساد في الأرض وانحراف الأقوام عن الجادة، تحتم التصرف الإلهي أن ينقذ البشر ويعيدهم إلى الطريق الواضح ،وجاء المسيح إلى بني اسرائيل والعالم أجمع لتتميم أديان الرسل السابقين وإعطائهم نموذج التعاليم الإلهية ،وأقام الحجة في عصره وهيّأ المناخ والبنية العقلية اللازمة للفرد لإكمال الرسالة الإلهية والتي تنتهي بالرسول الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله).

إن عدم تقبل رسالة النبي محمد(صلى الله عليه وآله) ورفضها من باقي الأمم والشعوب والديانات الأخرى في الوقت الراهن ،شكلت حاجزاً لعدم النضج الفكري وتجميد النهضة لفترات زمنية طويلة ،كما كان هناك عامل مساعد آخر فأمة محمد(صلى الله عليه وآله) رفضت أوامره واختلفت من

بعده في مواصلة ما أمر به ،ثم رجع الناس إلى الاختلاف من جديد ،وأصبح عصرنا شبيهاً لعصر نوح(عليه السلام)، وتحتم من جديد وجود مصلح للبشر ،ووجود حل إلهي لاستئصال الفساد وإرجاع الناس إلى الله وإلى طريق الصواب ،والمُخلّص هو أطروحة إلهية للعلاج وحل للبشر.

إن الأنبياء منذ البداية تكلموا عن هذا الحل العملي الذي سيقدمه الله وفق مشيئته وإرادته ،حيث أشاروا إلى المُخلّص في آخر الزمان.

أين وجه الحكمة في إرادة الله المؤجلة بحرمان الإنسانية اليوم من ظهور المُخلّص؟

إن محبة الله العظيمة كانت أساس كل خلق وما زالت تحيطنا من كل جانب ،تزورنا في كل يوم ولحظة وتضمنا إلى صدرها الدافئ ،وملأت ضميرنا للاتحاد فيها والتمسك بحبالها ،وألطافه الرؤوفة تمتد في وسطنا وتشبع أرواحنا بزاد

النقاء ،ورحمته الواسعة تتجول بين طالبيها فتزيل أثقالهم وهمومهم ،وحكمته الخالدة التي ترف على وجه الأرض وتعطينا ثمارها وتبني فينا إرادته ،هذا الإله الذي تتحدث باسمه كل مخلوقاته ويهلل بتسبيحه كل الوجود.

أوجدنا من فيض إحسانه وعطائه الذي لا ينتهي ،لنكون ورثة جنته وأحبائه لأجل غير محدود ،مكللين بالحرية السرمدية تحت قبة البهاء والكمال.

نأوي إلى أوكار الأفكار فتستسلم عقولنا عند التفكر بذلك اليوم الذي سينتهي به كل شقاء على هذه الأرض ،فنأكل من طيبها عوضاً عن الشوك ،ونرفع عن أجسادنا أكوام الظلم، نفكر جلياً بذلك الحدث العظيم وما يسبقه من أحداث، وكيف سيكون ذلك الأمر هل يشبه الموت أم الولادة ،وهل هو سقوط أم سمو.

ترتجف عقولنا وتنقبض قلوبنا ،ونبقى هائمين على وجوهنا راجين قطرة من غمامة الأفكار ،تروي ظمأ العقل ،ثم تهب

نسمة طمأنينة من وادي الروح تهمس فينا مذكرة إيانا بوعوده، سوف يكون قريباً منا ،معين لنا ،معنا ولا أحد علينا .

ما هي الثورة الفكرية التي نحتاجها في العالم وتساهم في خروج المُخلّص؟

نحتاج لثورة تقودها عقول نيرة ومشتعلة ،تتوق إلى فتح بوابة المعارف والارتقاء بالفكر ،والسمو بالجوهر الإنساني للبشرية ،في محاربة كل الهرطقات التي ملأت رفوف المكتبات، والتي اعتلت فوق كل منبر ،ودست سمومها الفكرية في أجيال بأكملها .

التحرر من تلك الفئات وكل من لف لفيفهم ،وتبني فكر جديد يحث على أسلوب التعايش الديني ،والتفاهم السياسي، والدراسات البناءة ،بما فيه خير الجميع .

يتوجب على هذا الجيل وما بعده البحث في الجوهر الإنساني ،والإيمان بطاقاته المكنونة ،وتغذية العقل بالعلم

والمعرفة القادرين على النجاة بالإنسان وتسلحه بهما ،مما يجعله قادراً على التغير والتأثير بمحيطه.

إن العلم والمعرفة هما طوقا النجاة الوحيدان المنجيان من المستنقع النتن الذي أحاط بالمجتمعات والإنسان ،فبالعلم والمعرفة نكسر كل القيود التي نتوارثها من القدم ،بالعلم والمعرفة ننشئ جيلاً محباً متسامحاً ومسالماً ،بالعلم والمعرفة نزيل كل الشوائب العالقة بالنفس البشرية بالوراثة ،بالعلم والمعرفة نكتشف الإنسان الحقيقي في ذواتنا ،ونتذوق طعم الإنسانية العذب ،بالعلم والمعرفة نحطم الحجب المصنوعة عمداً أمام معرفة الخالق.

هكذا ثورة ستغير مجرى حياة الإنسان ،ستحتاج إلى من يتبناها ويدعمها ،بأعمدة العلم ويسلح تلك العقول الثائرة بدروع صلبة من المعرفة والإيمان بالذات.

هل الأغلبية من الأمم والشعوب راغبة وصادقة في ظهور المُخلّص؟

ويمكن أن نحصر هذه الرغبة وتحقيق الصدق في الأمور التالية:

فئة من الطبقة الفقيرة والمعدومة التي تأمل وترجو من هذا المُخلّص ،أن يحسن حالها ويستأصل الفقر والجوع والمرض والحرمان ،ويساعدها للانتقال إلى حياة جديدة.

فئة من الطبقة المتنورة أو المتعلمة أو المثقفة تطمح لاكتشاف المزيد من العلوم ،وحل الألغاز ،وكسر الحدود التي وقف عندها العلم.

فئة الطبقة المستضعفة في الأرض والتي تأمل بكسر تلك القيود عنها ،واسترجاع حقها في العيش بالعدل والمساواة.

فئة الطبقة المصدقة والمنتظرة والمتلهفة بشوق إلى هذا المُخلّص ،الذي سيكمل إيمانها ويؤكد اعتقادها.

لماذا كل هذا الانتظار عبر الأزمنة لتمهيد ظهور المخلص. وهل تبنت وفهمت البشرية فلسفة الانتظار؟

عندما تكلمنا عن المخلص ،وشرعنا في تحليل الرابط الخفي بين ذات الإنسان وشخص ذلك المخلص ،بين الحاجة ومسددها ،كان محور كل حديث أو تصور يندرج على جدار زمني يتعلق في المستقبل للإنسان على هذه الأرض بالتحديد.

وعند كل منعطف فكري ،كان لابد من استخدام القواعد الأساسية في بناء فكرتنا ،وهذه القواعد المكونة من الزمن والمكان ،وشخصي المخلص والإنسان.

وفي إطار كل مرحلة يسود الزمن فوق قوة الإنسان وطاقته ويضعه في قفص الانتظار ،فمفهوم الأمل عند الإنسان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصبر ،والمضي قدماً في درب الانتظار.

ويولد في مكان ما في النفس البشرية المعقدة اعتراض وتذمر على هذا الحكم الجائر ،وذلك لعدم تقبل نفس الإنسان لهذا

الضيف الثقيل عليها ،ليكون الصبر والانتظار هما الرئتان اللتان بهما نتنفس نسمات الأمل.

أحدهم يعيش لنفسه ،ويعيش الآخر لشخص ذلك الانتظار ،وما الفرق بين الشخصين؟

ولمواجهة هذا المفهوم بالمنطق العقلي ،سنقوم بتغيير المسميات السابقة ،ليتيسر علينا الولوج في مناقشة هذا المفهوم والخروج من هذا المأزق العقلي.

بني الإنسان وكذلك جميع أفعاله تُبنى وتندرج في بندين لا ثالث لهما ،قُسّمَ الإنسان إلى نصفين ،وهذا الانقسام أدى إلى خلق معظم أجزاء النفس البشرية وليس هذا فحسب ،بل أدى هذا الانقسام إلى فقداننا بوصلة اتخاذ القرار العقلي ،وتشويش الفكرة العقلية إلى حد اعتمادها على المادة أو الأداة المخلوقة من قبله ،مما جعل عقولنا قاصرة على تكوين فكرة كاملة ،فلم يستحوذ الإنسان منذ نشأته الأولى على الأرض على فكرة كاملة تامة ،ولو وجدت مثل هذه الفكرة المكتسبة بالتمام، لامتلك الإنسان مستقبله وطوى بيديه أهوال الزمن.

قد تكون طبيعتنا البشرية تقتضي ذلك ،بمعنى أن البشر يحتاجون الكثير من التجارب في أمر واحد ،لاتخاذ القرار وإصدار الفكرة أو إنشاء منهج ونمط حياتي بشري ،ولكن مهما كان السبب المقتضي فنحن نواجه أعتى المفاهيم وأكثرها ضرراً على الإنسان والأرض الحاضنة لهم ،ولذلك يتحارب البشر منذ القدم ويمارسون أشنع العنف في حق بعضهم البعض ،وفي حق هذه الأرض وطبيعتها والتي لا يمكنه الاستغناء عنها أو تجاهلها تحت مسميات وشعارات ملونة، وما زال الإنسان يبتكر كل يوم أسباب للحرب والموت، ولكن مع مرور كل تلك الأزمنة ،صرنا نرى اليوم نماذج لأفراد ومجتمعات ادركوا خطورة هذا الموقف ،ولا ندري كم يلزمنا من الوقت حتى نعي أننا متشابهون في الخلق ومتساوون في حقنا بالعيش بسلام ،ككل مخلوقات الكواكب البعيدة عن يد الإنسان وسطوته.

إذاً انقسم الإنسان الواحد إلى نصفين أحدهما مسير والأخر مخير ،فنجد الإنسان المسير والذي أُجبر على كل ما يقوم به

ويحياه ،وآخر يمتلك الاختيار والانتقاء ويكون حراً من غزو الظروف وسطوة المستوجب.

فتشكلت المشاعر التي تدور في فضاء الصبر والانتظار في النصف الأول ،وتنفس الأمل والخلاص بنصفه الآخر، فيتوهج فينا شعاع الأمل ويقذفنا إلى محطات الانتظار ،فتهرم حقائبنا البائسة دون أن تبلى ،ويكسونا غبار الزمن الثقيل.

ثابتة هي الأبصار ومتحجرة صوب المدى البعيد.

على هذه السكة القديمة نترقب قطار الخلاص ،ليس هناك من يسعف موتنا البطيء هذا سوى فكرة قد تحدر الموقف ستولد الآن وتفنى بعد حين ،ونظل محنطين فوق مقاعد الزمن المتآكلة من تحتنا ،لا يتحرك فينا سوى الأمل.

هذا أقل ما نقوله حول فلسفة الانتظار والتصاقه بالإنسان، ولكن:

- لِمَ علينا أن ننتظر؟
- وهل عدم قدرتنا على تكوين فكرة كاملة تامة. جواب يشفي حيرتنا؟

- ما الفائدة من الإجابة إذا بقينا نلازم هذا المفهوم. ونحن بعيدون من التماس علاج عقلي ونفسي يجعلنا ندنو من كيفية الشفاء؟

وبالرغم من أن الإنسان اتخذ لنفسه علاجاً يساعده على التغلّب في احتضاره ،والتكيف مع هذا الانتظار والتحلي بالصبر ،ليخلق في ذاته توازناً بين ثقلي الانتظار والأمل، ليضمن لنفسه الصمود زمنا أطول في هذه الحرب الفكرية والنفسية والتي جند كرهاً على رحاها.

ولكن دور الأمل لا يقتصر على الخلاص فحسب ،بل هو فيض يدك سدود العقل ويهز أركانها.

وما يغيب من جواب ويحل الاستفهام علينا بظلمته ،إلا وشمس العقل تكشف أجزاءه وتنيره وتنزع عنه حلكته بالإدراك ،وإيجاد علاج للمرض يبدأ بإدراكه وفهم ماهيته.

كذلك سنقدم مفهوم (الانتظار) أمام العقل ،ليبسط عليه إدراكه ،ويمن علينا بعلاج وشفاء.

ومهما اختلف أسلوب عيش ا لمخلوقات على هذا الكوكب، إلا إن جميعها تشترك في نمط واحد واحتياج موحد وهو النمو ،ومثل النمو كمثل البناء ،فنحن نملك الغاية والصورة الكاملة للبناء ،فنشرع في تأسيس البناء ثم نرصف أحجار هذا البناء تباعاً حتى يكتمل ،أو كمثل النطفة في مراحلها لتشكيل الجنين وتهيئته للنمو داخل الرحم في مقدار زمني ،لتبدأ مرحلة زمنية جديدة تسمى الولادة ،ويتابع في نموه حتى يكتمل.

وفي كلتا الحالتين كان يرافقنا الأمل في الخلاص وانتظار ذلك الخلاص.

لم يوجد الإنسان صدفة ،ولم يكن هو المسؤول عن غرائزه وقوانينه الأخلاقية وكذلك مشاعره ،فلا مكان للعبث فيه، بدليل أنه مخلوق اجتماعي يعيش في جماعات ويخلق المجتمعات ،مما يعزز قناعتنا نحن البشر بعدم وجود اختلاف بين البشر سلوكياً أو بيولوجياً ،ونحن بحاجة ماسة للنمو في الجسد كذلك نحن محتاجون للنمو فكرياً ونفسياً ،وكما كانت غايتنا في رصف حجارة البناء هو الاكتمال كذلك غاية هذا

النمو المرحلي ،وبما أن لا وجود لصدفة تطغى على كل البشر في كل حقبهم وأزمانهم ،فغاية الله من انتظارنا للمخلص لنوال الخلاص هو اكتمال نمونا ،فأشعل في صدورنا لهيب الأمل ليكون عهداً صريحاً منه للإنسان بالوصول إلى ضفة الخلاص.

كيف نعطي دافعًا للأجيال القادمة إلى عدم الانزلاق وإنكار وجود المخلص مهما طال الزمن؟

عندما استشرفت الزمن القادم من واقع الحال المعاش، حامت الأفكار حول نقطة واحدة كثقل الميزان ،تدور حلقتها حول العقل المتقد شوقاً لأن يحقق ما يصبو إليه ،لأن يرى شعلة الحق تتقد على منارة عالية ،يدركها القاصي من الأجيال الآتية ،فيزيحون غمامة عيونهم ويلتفتون إلى السر الكامن والحقيقة المندثرة تحت أتربة الزمن المهمل ،إنها الغاية ،غاية تحوّل من جماد عقولهم لواحات متسعة بصور فائقة الجمال

تشتعل يقيناً بها في تالي الأيام ،وما يختبئ بها من لب الوجود، ولب الحقيقة ،ولب الحرية ،ولب الحكاية ،إنها واقع لا يقبل أن ينقض ولا بأي صورة ،ويستحيل عليها التدثر والاختباء إلا في عقول ونفوس من اشتروا الضلالة والتيه.

وما هدفي إلا أن أسمع ذلك التناغم الروحي يتأجج بينهم من جديد ،فيلتفون حول راية واحدة ويعقدون عزمهم على الإيمان بها وبمضمونها ،إنها راية المخلص أو الموعود بالنصر أو ذلك الحدث القادم ووجوده المحتوم في مقتبل الأيام.

وجاءت الأجيال القادمة .. جيل بعد جيل .. وصوتهم يدوي في الأرجاء..كفانا جهلاً. ومن هو الذي سوف يأتي؟

تعالوا نشد متاعنا ونفض عنا قفص الانتظار المقيت! الذي يبقينا كجلاميد صخرية! لا نفقه شيئاً ولا نسعى لأي شيء!

يجعلنا الانتظار دمى معلقة على خيوط متحركة! يحركنا بمشيئته على أرض المادة مقيدين سبايا!كأنه قفص الحقيقة التي صنعناها من قديم الزمان بأيدينا.

وما الانتظار إلا مقبرة الفكر؟ومقبرة الإثارة؟ومقبرة المعرفة؟ومقبرة الحياة؟

كفو عن مناداة القادم! ذلك الوهم القادم واستدعائه!

تعالوا لكل زمن يجمعكم بلذة الحياة ،وثقافة الخلود، والارتواء من مشاعل الحقيقة!

قوموا من صمتكم من مداراة سوءات أحلامكم القديمة وأفكاركم البليدة! التي لم تصنع لكم مجداً في يوم من الأيام!

من وحي الفكر بدأت الحكاية..من لب الوقائع ظهرت الرؤية ،من كلمات نقشت على جدران قلوبنا منذ الطفولة، عرفناها من ذلك التمازج بين العقل والمادة ،فلتقوسوا إذن قضبان زنزانتكم ان استطعتم من سجن الحياة الكبير! ولتخرجوا منها بقوة الريح! إنكم على موعد بما هو آت ،بما هو حقيقي ،بقدر يفوق قدراتكم ،ويفوق مشيئتكم ،ويفوق عقولكم الصلدة ،إنه وعد الله الحق الآتي من بعيد.

فلماذا نطوي حقيقة آتية لا محالة.ونقبل بما هو متاح فقط.ونستمر بالهرب ولا نتعامل مع المستقبل؟

ونقبل أن نظل متقوقعين في جحود ونكران قفص الانتظار..إلى قفص داخل قفص أصغر آخر ،كحجم قارورة، الذي أعمانا عن الآتي برمته وفقدنا به تمام البصيرة ،وجعل فينا كرهاً وإنكاراً كبيراً حتى لحقيقة نفوسنا المجبولة على المعرفة، صدى تراكم عليها ،تراكمات وتراكمات،حتى تكومت فوقه جبالٌ منعتنا من استنشاق نسائم الحق والحقيقة الواحدة، الحقيقة الكبرى الناصعة في واقع قد غيبت ،ودس فيها الوهم والتدليس ،والذي نحياه في هذه الحياة لحظات سوف تنعدم، وينقطع ذلك النفس شريان الحياة ،عندها قد فات الأوان للرجوع وحلت الهاوية.

أفلس الإنسان عندما اعتقد أن نكران المخلص هو ذلك الطريق للراحة الخالدة على أرض المادة ،ليعيش هو بسلام وحرية في عقله ونفسه ،يا لهذا السراب! ليعلم من بعد جهلٍ أن لا توازن إلا في ساحة الانتظار ،فقفص الانتظار هو من يحميه من ضربات الزمن وما أحدثته المادة ،بل هو هالة النور لحجب الظلمة إنها الهاوية التي لا نجاة منها.

وبعيداً عن كل فكرة عقلية مهما كانت قوية ومحبوكة ومدوية ،وتنبت من جذور الحق ،وتصدر من نواته ،سبقها فجأة وعد الله القادم فانهارت.

ما هي الآلية لمعرفة المُخلّص الحقيقي من بين كل المُخلّصين؟

إن هذا المُخلّص الذي نبحث عنه في عمق النفس وفي أغوار العقل ،لتكتمل به حلقة الوصل النهائية ،ونعرف فيه القيمة والغاية لعظمة ذلك الخالق.

إن هذه الحقائق ليست من الأفكار المتلاطمة التي تطفو على سطح المنطق ،وليست واحدة من حالات العقل بل هي الركيزة والصفوة للعقل ،التي تجعل من العقل البشري يرتقي ويثور ضد كل النواقص ،ويتجه بغضب وقوة نحو الكمال، يفيض بمده ويغرق جزر الجهل ،فيغير المعالم ويخلق عوالم جديدة في كل ثورة له.

هذا النجم الذي بنوره لطالما كشف الحقائق السجينة في عتمة الأزمنة ،كذلك هي حقيقة المُخلّص!

هذه الحقيقة المتربعة على عرش الأفكار ،ما فتئ العقل بنسج خيوطها وتوسع رقعتها حتى تمتد على كل أرجائها.

أصنعُ أفكاراً أنا الإنسان باحثاً فيه عن الحقيقة لمعرفة شخص هذا المُخلّص ،لعلي أصل إلى منبع ذلك النهر فأشفى من كل سقم ،لن أعجز فأنا الإنسان الذي يستطيع بإرادته أن ينبش الحقائق من مركز الأفكار.

أبحث وأشعل التاريخ ضياء لعلي أجد فيه حريتي وشغفي حول ذلك الأمل ،بعد أن أخفاه عنا المتفعون!

نحن نعلم أن أبعاد الحياة وجدت كل في حدث ،وهذا الحدث إما ان يكون احتياجاً أو اكتشافاً أو أمراً محتوماً ،وقد عرف الإنسان الأبعاد على طول الطريق الذي قطعه ،لتمكين قوته وفرض سيطرته على الأرض ،إن البعد الذي نحن على موعد التقاء به والتي تشعر نفوسنا بقدومه هو ذلك المخلص، الذي سيضيف للإنسان هذا البعد ليكون فاصلاً بين شقائه

وراحته ،ومخلصاً للإنسان من عبودية الطريقة الواحدة ،ويفتح الأبواب أمام العقل لاكتشاف الطرق الأخرى ،فيعلم الإنسان أن الأبعاد الذي تم التعامل معها إلى اليوم أبعاد كثيرة في الحياة ،والتي تشكل أحد أبعاد هذا الكون ،لصنع سلسلة علينا بإيجاد الحلقات ،ووجود الحلقات هو سلسلة هائلة وتشابك معقد من الذرات والجزيئات ،وإذا كان هذا على سبيل السلسلة فكيف يكون الحال اذا انتقلنا بهذا المفهوم إلى الإنسان والأرض والكون ،وبالطبع سنكون حينها بأرضنا الواسعة ذرة أو جزيئاً لهذا الكون ،وربما يكون الكون كذلك لو أحصيناه ووجدنا أكوان أخرى.

لم يكتشف الإنسان البعد الرابع ،بل هو اكتشف الطريقة لترجمته الى قاعدة مبينة وجلية ليفند بنودها ،ويخترع الأساليب الذي سيتعامل من خلالها في اكتشاف ماهيته وتسخيره لخدمته.

فنحن كنا نشعر بهذا البعد ونتعامل معه نفسياً وشعورياً، مع عدم قدرتنا على ترجمته والاستحواذ عليه وتفعيلة

وامتلاكه ،لأن ليست كل المشاعر التي تراودنا نمتلكها ،ولدينا القدرة على ترجمتها ،ولم نكن نعلم أن هذا الشعور سيتمثل بعداً رابعاً يضاف إلى الأبعاد المعلومة.

ونحن نمتلك شعوراً بأن هناك يوماً للخلاص ،وان هناك حدثاً عظيماً ،سينقلنا إلى طريق آخر غير الذي انتهجناه ،وهذا الشعور الذي يتفق عليه جميع البشر ،وهذا الانتظار الخفي التي نتوق لاجتيازه ولن نختلف على تسميته ،فقد تدعوه الرجاء والأمل أو الخلاص ،لأننا متفقون على وجوده فينا ،فهو يخترق كل النفوس البشرية ،وما من أحد لم يتلمس ذلك فيه ،وما من لسان لم ينطق بكلمة تدلل على وجوده.

كثيراً وفي محاولاتنا على ترجمة هذا الشعور ،نستخدم الزمن ونعتمد عليه كشيء أساسي لازم ،وعندما نقول زمن فنحن نتكلم عن طريق بين نقطتين كما وضحنا سابقاً ،ثم نستخدم بعد ذلك الحدث الذي سينفجر في الطريق بين نقطتي الزمن، وفي كل مرة نترجم فيها الأمل ونخبر به عن الرجاء ،فنحن بحاجة إلى هذين المكونين (الزمن والحدث) ،وهذا تماماً ما

يؤمن به بعض الناس في مجيء المخلص ،والذي سينقل البشر إلى مرحلة جديدة تفتح لهم فيها طرقاً أخرى وأنماطاً مختلفة لشكل الحياة ،فالمخلص يمتلك زمناً بدأ بولادته بالنقطة الأولى ،وغيابه هو الطريق إلى النقطة الثانية في مجيئه ،كما يملك المكون الثاني ألا وهو الحدث ،الذي سينهي هذه الحقبة التي مر فيها الإنسان ،وهذا يدل على وجود هذا المخلص بيننا ،والذي دللنا عليه بالزمن وعلى موعد مع ظهوره ،وهذا ما دللنا عليه بالحدث ،وهي فكرتنا على أن هناك حادثة ستغير مجرى الحياة وتنقل الإنسان إلى مستوى أفضل.

ومن هنا يذر غربال النفس فوق رحى الخلاص ،جعبة من المشاعر الإنسانية الفريدة والمتطورة في طبيعة متجددة لا يبرد وطيس إلحاحها ،وتتناوب تلك المشاعر في عشوائيتها الخلاقة حكم الإنسان ،وتحديد مساره وانتقاء نوع أفعاله.

وكل من المشاعر يحتاج لكي يحكم الإنسان إلى زمن وحدث يعتلي صهوته ،فيكون الشعور عصارة نفسية تفاعلت مع حدث زمني ،وامتلكت حكم هذا الكائن البشري ،خاضعة

لزمن أخر أكبر ينتهي فيه الزمن الشعوري ،وتتحدد فيه نقطة بدايته ونهايته ،فينتقل الإنسان إلى حكم شعوري آخر في تفاعل جديد متجدد لا ينتهي ،والأمل أو الرجاء وما شابه إحدى عناصر مجموعة الشعور ،ولكنه غير خاضع لزمن ويحكم في ظل حكم شعور آخر ،فيؤثر في أي شعور مهما كان نوعه ويغذيه ويعزز كل تفاعل بين الشعور والحدث الزمني، وكما قلنا إن وجود الحدث الزمني وقرينه في النفس البشرية (الشعور)ينتج الأفعال الإنسانية والتصرفات والسلوك لهذا الكائن.

وهذا يعني ان شعور (الأمل) هو موجود على طول الزمن الأعظم ،يؤثر في كل المشاعر دون أن يتأثر ويحكم في الظل، وهذا يعني أنه لن يحكم تلك الآلة على الإطلاق ،وسيبقى ضامراً في الظل كما لأبهُرِ القلب يضخ في الإنسان نفساً وجسداً دماء الحياة.

ولن يكون هناك أي اختلاف في طبيعة النفس البشرية بين الإنسان والمخلص ،من حيث امتلاك الأمل والشعور ولكن

الاختلاف في نوعية الأمل نفسه ،وبمعنى نوع ذلك الأمل حاكم للإنسان أو حاكم للشعور.

ونحن نتوق للخلاص بالولوج إلى كنف المخلص ،والإقامة تحت رعايته وتعريض ذواتنا إلى نوره الشافي ،وذلك لنوال الخلاص ،عن طريق المخلص .

وهذا يعني أننا لا نمتلك الخلاص(الأمل)،بل التوق إليه، والذي يحكمنا ليس الخلاص بل توقنا المختبئ في ظل الشعور الحاكم للآلة البشرية ،والذي يحكم المخلص ليس ذلك الشعور بالاشتياق إلى الخلاص بل الخلاص (الأمل)،فهو نال الخلاص ،فانكشف حكم الشعور من الظل إلى النور ،وسنعبر من خلاله إلى الخلاص ،وبذلك سنكون نلنا ما ناله ،لأنه الجسر المعلق بين ضفاف النفس البشرية وضفة الخلاص .

ان غايتنا أن ننال الخلاص من المخلص ،وها قد تحققت الغاية ،وهل يتوقف الأمر هنا؟

عندها سندرك إن الخلاص محطة أو مرحلة عبور جديدة لما بعد تلك البداية!

ومن هنا يجب أن نكون حينها متأهبين لذلك الموعد، ومسلمين لذلك الأمر الذي سيخبر به المخلص ،والذي طال انتظاره لمعرفة ما بعد نيل الخلاص ،وخلال تلك المسافة الزمنية المجهدة للإنسان التي هيأت العقل والنفس لاستقبال تلك المرحلة للسير إلى الحق وما يريده الله (جل جلاله)،وهذا الأمر سوف يكون ثقيلاً عن العقل والنفس كأنه الفزع والانبهار.

إن كل ما ذكر من أطروحات في تلك الديانات السماوية منها أو الوضعية التي أوردناها في بداية الكتاب ،لا ينطبق جميعها إلا على مخلص واحد ،يمثل الواقع الحقيقي المعاش، لتواجده بيننا ،معاصراً للأحداث ،يشعر بما نشعر ،فهو القريب منا ويعي حقيقة مطالبنا واحتياجاتنا.

وفي الختام ان كل الذي ننتظره على أرض المادة أفول الزمن، لينقشع فيه الوقت ليظهر المخلص ،وهذا الحدث العظيم أو الإنسان الحقيقي الذي مهما أنكره وينكره البعض ،فهو موجود بقوة في قرارة النفس البشرية ،وأن صوت الأمل سيظل عالياً وصاخباً في صدورنا وعلى ألسنتنا ،أنكرنا ذلك أم صدقنا،

وكل ما نؤمن به من أفكار سنتواجه وإياها في المستقبل تحت سماء الحقيقة.

المراجع

١- المعتقدات الدينية لدى الشعوب/ جفري بارندر، ترجمة د : إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة ثقافية رقم ١٧٣ الكويتر ،صدرت السلسلة في يناير ١٩٧٨م، بإشراف أحمد مشاري العدواني.

٢- قاموس أساطير العالم /آرثر كورتل، ترجمة سهى الطريحي ،دار نينوى للطباعة والنشر ١٤١٠هـ-٢٠١٠م دمشق ،سوريا .

٣- النظرية العامة للأمراض العُصابيّة/ سيغموند فرويد، ترجمة جورج طرابيشي ،دار الطباعة بيروت.

٤- اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني/ محمد محمد صادق الصدر (الشهيد الصدر الثاني) ، دار التعارف للمطبوعات ،الطبعة الأولى ١٩٩٢م ،بيروت - لبنان.

٥- أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي/ تشارلس داروين ،ترجمة مجدي محمود المليجي ، طبعة ٢٠٠٤م، المجلس الأعلى للثقافة الجزيرة ،القاهرة ،مصر.

٦- نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي/ تشارلس داروين، ترجمة مجدي محمود المليجي ،الجزء الأول، طبعة ٢٠٠٥م ،المجلس الأعلى للثقافة الجزيرة ،القاهرة، مصر.

٧- ديكارت أو الفلسفة العقلية / دكتورة راوية عبد المنعم عباس ،دار المعرفة الجامعية ،طبعة عام ١٩٨٩م، الاسكندرية مصر.

٨- ملحدون محدثون ومعاصرون/ د.رمسيس عوض، مؤسسة الانتشار العربي، سيناء للنشر ،الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٩- هكذا تكلم زاردشت/ فريدريك نيتشه،ترجمة فليكس فارس،مطبعة جريدة البصير ١٩٣٨م، الاسكندرية، مصر.

١٠- كمال الدين وتمام النعمة / الإمام الصدوق (ت ٣٨١هـ)،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران طبعة ١٤٠٥ هـ.

الفهرس

شكر وعرفان..................................٥

تمهيد...٨

بداية الفكر..................................١٠

المُخلّص والخلاص...........................٥٦

مطبب الأدواء ٧٣

شخص المُخلّص..............................٩١

المراجع.....................................١١٩

الفهرس.....................................١٢٢